١- **برنامج مهمَّات العلم: السنة الأولىٰ، الكتاب الثالث ٢٩/ ٠٢/ ١٤٣١**

٢- [[برنامج تيسر العلم: المرحلة الأولىٰ، الكتاب السابع]]

٣- {برنامج تيسير العلم: المرحلة الأولىٰ، الكتاب السابع}

٤- {{برنامج تيسير العلم: المرحلة الأولىٰ، الكتاب الخامس}}

٥- ((**برنامج مهمَّات العلم: السنة الأولىٰ، الكتاب الرَّابع: ١/ ٣/ ١٤٣٢**))

حاشية علىٰ العقيدة الواسطية

الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي

المسجد النبوي ٢٩/ ٠٢/ ١٤٣١هـ

النُّسخة الإلكترونية الثانية

اعتنىٰ بها سالم بن محمَّد الجزائري

دمجٌ لخمس تعليقات

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمَّ إني أبرأُ إليك من كلِّ حولٍ وقوَّةٍ إلَّا بك وحدَك.

الحمد لله الدَّائم توفيقُه، المتواترِ عطاؤه وتسديدُه، وأشهدُ أنَّه هو الإلهُ الحقُّ المبينُ، لا إلٰه إلَّا الله العظيمُ الحليمُ، وأشهدُ أنَّ محمدًا خاتَمُ النبيِّين ﷺ وعلى آله وصحبه والتَّابعين.

وبعد، فإنَّ هٰذا التَّفريغ هو دمجٌ لخمس تعليقات للشَّيخ صالح بن عبد الله العصيمي حفظه الله، معتمدًا على تعليقات (برنامج مهمَّات العلم: السنة الأولى، الكتاب الثالث لسنة ١٤٣١) ومتن (برنامج مهمات العلم: السنة الأولى، الكتاب الرابع، لسنة ١٤٣٢)، وما أضفته من برنامج تيسير العلم: المرحلة الأولى، الكتاب السَّابع كان بين:{ }، وما أضفته من برنامج تيسير العلم: المرحلة الأولى، الكتاب الخامس كان بين: {{ }}، وما أضفته من برنامج مهمَّات العلم: السنة الأولى، الكتاب الرَّابع كان بين: (()).

والشيخ حفظه الله لم يراجع هٰذا التفريغ فإن وجدتم ما يحتاج للمراجعة فراسلوني على البريد:

sallllm@gmail.com

واللهَ أسأل الإخلاص في القول والعمل.

أخوكم سالم بن محمد الجزائري

٠٢/ جمادي الأولىٰ/ ١٤٣٢هـ

السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الحمدُ للهِ الذي صيَّر الدِّين مراتبَ ودرجاتٍ، وجعَلَ للعِلْمِ به أصولًا ومُهمَّاتٍ.

وأشهدُ أنْ **لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ** حقًّا، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبْدُه ورسولُه صِدْقًا.

اللّٰهمَّ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آل محمَّدٍ كمَا صلَّيت علىٰ إبراهيمَ وعلىٰ آل إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ، اللّٰهمَّ بارك علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آل محمَّدٍ كما باركتَ علىٰ إبراهيمَ وعلىٰ آل إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

أمَّا بعدُ..

فحدَّثني جماعةٌ من الشُّيُوخ -وهو أوَّلُ حديثٍ سمِعتُهُ منهم- بإسنادِ كلٍّ منهم إلىٰ سفيانَ بن عُيَيْنَةَ، عن عَمرو بن دينار، عن أبي طاووسَ مولىٰ عبد الله بن عمرو، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبيّ ﷺ قال: «**الرَّاحمُون يرحمُهم الرَّحمنُ تبارك وتعالىٰ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السَّماء**»، ومن آكَدِ الرَّحمة رحمةُ المعلِّمين بالمتعلِّمين في تلقينِهم أحكامَ الدِّينِ، وترْقِيَتِهم في منازلِ اليَقين، ومن طرائقِ رحمتهم إيقافُهم علىٰ مهمَّات العلم بإقراء أصولِ المُتُون وتبيين مقاصدِها الكليَّة ومعانيهَا الإجماليَّة؛ ليستفتح بذلك المبتدئون تلقِّيَهم، ويجدُ فيه المتوسِّطون ما يذكِّرُهم، ويطَّلعُ منْهُ المنتهُون إلىٰ تحقيقِ مسائل العلم.

وهٰذا شرح (**الكتاب الثالث**) من برنامج مهمَّات العلم من سنته الأولىٰ وهو (**كتاب العقيدة الواسطية**) لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية النُّميري [[الحرَّاني]] رَحِمَهُ اللَّهُ [[المتوفىٰ سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مائة]] .

۞۞۞۞

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في كتاب العقيدة الواسطية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمْدُ للهِ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ، وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ؛ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا مَزِيدًا.

اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ -أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ-:

الإِيمانُ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، والإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خِيْرِهِ وَشَرِّهِ.

[[الحكم الشَّرعي الذي تتعلَّق به العبادة نوعان:

أحدُهما: الحكم الشَّرعي الخبري.

الآخر: الحكم الشَّرعي الطَّلبي.

ومتعلَّق الأوَّل الاعتقادات البَاطنة، وجماعها أصول الإيمان السِّتة، وقد سردها المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ، و]] عَدَل المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ عن الإشارة إلىٰ الرُّكن الخامس من أركان الإيمان وهو الإيمان باليوم الآخر إلىٰ قوله: (وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ) لأنَّ [[البعثَ]] أعظم مسائله التي أنكرها المُشركون، فهو ذِكْرٌ للشَّيء بذِكْر فردٍ من أفراده لجلالة الفرد المذكور وعظمته.

[[والاعتقاد الصَّحيح هو الموافق للحقِّ، وأهلُه هم المتَّبعون للسُّنَّة المجتمعون عليها، ولذلك سُمُّوا أهل السُّنَّة والجماعة بخلاف غيرهم ممَّن خالف السُّنّة وفارق الجماعة، فاختصوا ((هم)) بأنَّهم الفرقة النَّاجية المنصورة إلىٰ قيام السَّاعة، وهٰذه الرِّسالة في بيان عقيدتهم]] ((وهي عقيدة سلفيَّة مُتلقَّاةٌ بالقَبول، حكاه جماعة من الشَّافعية كأبي عبد الله الذَّهبي، وجماعة من الحنابلة كأبي الفرج ابن رجب رحمهما الله، فهي لا تختصُّ بعقيدة مذهبٍ من المذاهب المتبوعة؛ بل هي عقيدة الآخذين بالمأثور عن ما كان عليه الصَّحابة والتَّابعيون وتابعوهم بإحسان)).

وَمِنَ الإيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ؛ بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ ﷻ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشُّورىٰ].

الإيمان بالصِّفات مبنيٌّ علىٰ أصلين ذكرهما المصنِّف [[رَحِمَهُ اللهُ]]:

الأوَّل: الإيمان بما وصف اللهُ به نفسَه في كتابه وبما وصفَه به رسولُه ﷺ. [[فالعُمدة في الباب النَّقل المحض، فهو موقوف علىٰ الدَّليل الوارد من الوحي]] ((في القرآن أو السُّنّة)).

والثَّاني: ترك التَّحريف والتَّعطيل والتَّكييف والتَّمثيل. ((وهٰذه الأربعة المذكورات هي من جوامع أصول الانحراف في أبواب الأسماء والصِّفات)).

و((**أوَّلها وهو**)) **التَّحريف** هو: تغيير لفظِ النَّصِّ أو معناه.

و((**ثانيها وهو**)) **التَّعطيل** هو: إنكار ما يجب لله من الأسماء والصِّفات.

و((**ثالثها وهو**)) **التَّكييف** هو: تعيين كُنْه الصِّفة [[الإلهية]]، والمراد بالكُنْه حقيقتها.

و((**رابعها وهو**)) **التَّمثيل** هو: تعيين كُنه الصِّفة {{الإلهية}} بذكر المُماثل.

((وجُمع بين التَّحريف والتَّعطيل والتَّكييف والتَّمثيل؛ لأنَّ التَّحريفَ يُفضي إلىٰ التَّعطيل، والتَّكييفَ يُفضي إلىٰ التَّمثيل، فالأصلان الأول والثاني مرتَّبٌ أحدهما علىٰ الآخر، والأصلان الثَّالث والرَّابع مرتب أحدهما علىٰ الآخر.

وهٰذان الأصلان العظيمان اللَّذان بُني عليهما الإيمان بالأسماء والصِّفات)) وإلىٰ الأصل الأوَّل يشار في كتب العقائد بقولهم: الإثبات.

وإلىٰ الثاني يشار بقولهم: تنزيه الله عمَّا لا يليق به.

واقتصر المصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ علىٰ هٰذين الأصلين ووراءهما أصل ثالث وهو: قطع الطَّمع عن إدراك كيفيَّة صفات الله ﷻ.

فالإيمان بباب الصِّفات دائرٌ علىٰ هٰذه الأصول الثَّلاثة، [[ويمكن استخراج الأصل الثالث من كلام المصنِّف في رده الأمر إلىٰ خبر الله وخبر رسوله ﷺ وفي نفيه التَّكييف لتوقفه عليه، والإفصاح به أنفع للمتعلِّمين، فصار الإيمان بباب الأسماء والصِّفات دائرًا علىٰ ثلاثة أصولٍ]]:

((**أحدها**: الإثبات لما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ.

وثانيها: تنزيه الله عمَّا لا يليق به.

وثالثها: قطع الطَّمع عن إدراك كيفية صفات الله ﷻ.))

والمعهود في خطاب الشَّرع:

تسمية الأوَّل -وهو النَّفي-: تسبيحًا و[[تقديسًا]].

وتسمية الثَّاني -وهو الإثبات-: [[تحميدًا]][1].

وتسمية الثَّالث -وهو قطع الطَّمع [[عن إدراك ((كيفية)) الصِّفات الإلهية]]-: نفي الإحاطة.

فهٰذه الأصول الثَّلاثة مذكورة في القرآن والسُّنة بهٰذه الأسماء: التَّقديس والتَّسبيح، [[والتَّحميد]]، ونفي الإحاطة.

۞۞۞۞

(١) في الشَّرح الأوَّل في المسجد النبوي سمَّاه حفظه الله: (تقديسًا) وأيضا في شرح ثانٍ لبرنامج تيسير العلم.

فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ، وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ وآيَاتِهِ، وَلاَ يُكَيِّفُونَ وَلاَ يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ لأَنَّهُ ﷻ: لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْءَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ لَهُ. ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ ﷻ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلاً، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ. ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُون؛ بِخِلاَفِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لاَ يَعْلَمُونَ، وَلِهَذَا قَالَ ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[الصَّافات]، فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلاَمَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيما وَصَفَ وَسَمَّىٰ بِهِ نَفْسَهُ بينَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ.

فَلاَ عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَت بِهِ الْمُرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ.

تقدَّم أنَّ بابَ الصِّفات عند أهل السُّنّة مبنيٌّ علىٰ الأصول الثَّلاثة السَّابقة الذِّكر، ونشأ من إعمالها أنَّ أهلَ السُّنَّة لا ينفون عن الله ما وصف به نفسَه، ولا يحرِّفُون الكَلِمَ عن مواضعه، ولا يُلحدون في أسماء الله وآياته، ((فهٰذه الجملة المذكورة في صدر كلام المصنِّف هي مرتَّبة علىٰ الأصول الثَّلاثة المتقدِّمة وناشئة عنها)) والإلحاد فيها هو الميل بها عمَّا يجب فيها، [[فكلُّ عدولٌ بها عمَّا أمر به فيها شرعًا فهو إلحادٌ]] و((أهل السُّنَّة)) لا يكيِّفون صفات الله ولا يمثِّلون صفاتِه بصفات خلقه.

والعِلَّة الموجبة لهٰذا عندهم شيئان اثنان [[كما ذكر المصنِّف]]:

أوَّلهما: أنَّ الله (لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْءَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ لهُ. ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ ﷻ).

والثَّاني: أنَّ (رُسُلهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُون)، فخبَرهم صحيح، وطريقة الرُّسل هي إثبات الصِّفات لله ﷻ مع تنزيهه عن النَّقص والعيْب وقطْع الطَّمع عن إدراك كيفيَّة الصِّفة، ولا عدول لأهل السُّنّة والجماعة عن طريقة الأنبياء والرُّسل [[لأنَّها الصِّراط المستقيم]].

وذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ في جملةِ كلامه هنا قاعدةً شريفةً في باب الأسماء والصِّفات هي قوله: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيما وَصَفَ وَسَمَّىٰ بِهِ نَفْسَهُ بينَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ.) فالنَّفي والإثبات في الأسماء والصِّفات مذكوران فيما وصف اللهُ وسمَّىٰ به نفسَه وفيما وصفه وسمَّاه به رسوله ﷺ.

فأسماءُ اللهِ ﷻ باعتبار النَّفي والإثبات نوعان اثنان:

أوَّلهما: الأسماء [[النَّافية]][1] كالسَّلام والقدُّوس ((والسُّبوح)).

والثَّاني: الأسماء المُثْبِتة كـ[[الله و]] الرَّحمٰن والرَّحيم.

---

(١) في شرح المسجد النبوي الأوَّل: المنفيَّة.

والنَّفي [[المتعلِّق بالأسماء]] كائن في المعنىٰ لا في المبنىٰ؛ أي يدلُّ معناها علىٰ نفي ما لا يليق به ﷻ.

وكلام المصنِّفِ صريحٌ في جريان النَّفي والإثبات في الأسماء والصِّفات {معًا} إذ قال: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيما وَصَفَ وَسَمَّىٰ بِهِ نَفْسَهُ بينَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ.) [[فليس النَّفيُ والإثبات مقصورَيْن علىٰ الصِّفات، بل هما واقعان في الأسماء والصِّفات معًا]] وهٰذا يقتضي أنْ يكون في الأسماء ما هو ((نافٍ))، وفيها ما هو مثبِتٌ، إلَّا أنَّ النَّفي المُسلَّطَ علىٰ الأسماء ليس نفيًا في البناء الذي هو صورة الكلمة، وإنَّما هو نفيٌ في المعنىٰ ((فلم يقع شيءٌ من أسماء الله ﷻ في صورة بنائه وهو رسم الكلمة منفيا وإنَّما وقع ذلك في معناه وهٰذا هو المراد من ذكر النَّفي في باب الأسماء بخلاف باب الصِّفات كما سيأتي)).

ذكرنا أنَّ هٰذا يقتضي أن يكون في الأسماء ما هو منفيٌّ وفيها ما هو مثبت، إلَّا أنَّ النَّفي المسلَّط علىٰ الأسماء ليس نفيًا في البناء الذي هو صورة الكلمة وإنَّما هو نفي في المعنىٰ، فليس في بناء شيء من أسماء الله ﷻ نفي؛ ولكنَّ النَّفي مضمَّنُ معناها كالاسمين اللَّذين ذكرناهما (السَّلام والقدُّوس)، فإنَّ هذين الاسمين دالَّان في معناهما علىٰ نفي النَّقائص والعيوب، فوقع النَّفي باعتبار المعنىٰ لا المبنىٰ.

((وهٰذه المسألة في تصرُّف أهل العلم طرائقُ قِدَدًا:

فمنهم: من ذكر النَّفي في الأسماء كذكره له في الصِّفات كالمصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ، فإنَّ عبارته قاطعة في إرادة النَّفي والإثبات في الأسماء والصِّفات لا في الصِّفات وحدها.

ومنهم: من أثبت ذلك لكنَّه لم يبيِّن المراد بالنَّفي في الأسماء وهو الموضع المُشكل.

ومنهم: من جعل النَّفي والإثبات مختصًّا بالصِّفات، ونفىٰ أن يكون في الأسماء نفيٌ وهو مخالف لعبارة المصنِّف.

والصَّحيح من هٰذه الطَّرائق أنَّ النَّفي جار في الأسماء كجريانه في الصِّفات، لكن الفرق بين البابين أنَّ النَّفي في الأسماء واقعٌ في المعنىٰ دون المبنىٰ، وأمَّا النَّفي في الصِّفات فواقعٌ في المبنىٰ والمعنىٰ معًا، كقوله ﷻ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ فإنَّ الصِّفة هنا هي صفة نفي الموت، ووقع نفيُها بطريق المبنىٰ والمعنىٰ:

أمَّا طريق المبنىٰ فهو الإتيان بصيغة من صيغ النَّفي وهي قوله: ﴿لَا يَمُوتُ﴾.

وأمَّا المعنىٰ فلدلالة الآية نفي صفة الموت عن الله ﷻ.

وأمَّا الأسماء فلم يقع فيها النفي في البناء فإنَّما وقع في المعاني. وهٰذا تحرير هٰذه المسألة المشكلة)).

((لكنَّ الشُّراح منهم من قال بالنَّفي في جميع الأسماء والصِّفات، ثم لم يبيِّن ما معنىٰ النَّفي، ومنهم من جعل النَّفي والإثبات في الصِّفات، ومنع أن يكون ثَمَّ نفي في الأسماء، فجعل تقدير العبارة متعلِّقًا

بالمجموع وليس بالجميع المذكور فيه، وفي ذلك نظر ولغُموض هٰذه المسألة فإنَّ من المحقِّقين من يكون له فيها قولان، ومنهم ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإنَّ قوله القديم في الشَّرح الذي بين أيدي النَّاس من العقيدة الواسطية هو تقرير وجود النَّفي والإثبات في الأسماء كوجوده في الصِّفات، وفي شرحه الأخير مَنَعَ كون النَّفي موجودًا في الأسماء، والأوَّل بالنِّسبة لجهة النِّسبة إليه أظهر؛ لأنَّه هو الذي بحث فيه المسألة وطوَّل فيه القولَ. ومن طرائق معرفة أقوال المحقِّقين أنَّ الذي يخالف ما جرىٰ عليه النَّاس قد يَذْهل عن تحقيقيه فيوافق ما عليه النَّاس، وهٰذه من دلائل كمال علم الله وقدرته فإنَّ علم المخلوق يلحقه نقص وعوزٌ وافتقادٌ وافتقارٌ، ويوجد نظائرُ هٰذا في كلام جماعة من أهل العلم كأبي العباس ابن تيمية الحفيد وأبي الفضل ابن حجر في آخرين من أهل العلم.

والمقصود أنْ تعرف أنَّ تحقيق المسألة هو إثبات النَّفي والإثبات في الأسماء كإثباته في الصِّفات؛ لكن علىٰ الوجه المتقدِّم)).

وأكثر شُرَّاح هٰذه العقيدة إنَّما بيَّنوا هٰذه الجملة باعتبار تعلُّقها بالصِّفات دون الأسماء، فذكروا قسمة الصِّفات علىٰ ما سيأتي بين النَّفي والإثبات، وأهملوا ذكر قسمة الأسماء إلىٰ أسماء نَافية وأسماء مُثبِتة، وبيان ذلك هو علىٰ النَّحو الذي ذكرته لكم آنفا: أنَّ أسماء الله ﷻ يكون فيها النَّفي كما يكون بالإثبات، إلَّا أنَّ النَّفي مسلَّط علىٰ المبنىٰ لا المعنىٰ، فمعناها مضمَّن لنفي ما لا يليق بالله ﷻ.

وكذلك الصِّفات الإلهية هي باعتبار النَّفي والإثبات تنقسم إلىٰ قسمين اثنين:

أوَّلهما: الصِّفات المنفيَّة كـ((نفي)) الظُّلم والنَّوم.

والثَّاني: الصِّفات المُثْبَتة كالإلهية والرَّحمة.

[[والفرق بين نفي الأسماء ونفي الصِّفات أنَّ النَّفي المتعلِّق بالأسماء وقع في المعنىٰ، فهو موجبٌ للنَّفي لا محكوم به علىٰ الاسم، وأمَّا النَّفي المتعلِّق بالصِّفات فهو محكومٌ به عليها]] والنَّفي ليس كمالًا في نفسه [[فلا يراد لذاته]]، ولكنَّ الكمال في إثبات مقابله من المدح [[ولملاحظة هٰذا الكمال جيء بالنَّفي]]، فنفي الموت [[يتضمَّن إثبات كمال حياة الله ﷻ وقيوميته، ونفي]] الظُّلم مثلًا في قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾[فصِّلت] يستفاد منه فائدتان:

الأولىٰ: نفي الظُّلم عنه ﷻ.

والثانية: إثبات العدل لله ﷻ.

فائدة: فإذا كان العدل في الصِّفة ثابتًا لله، فلماذا لم يكن من أسماء الله (العادل)؟ ما الحكمة من ذلك مع أنَّ الآيات التي فيها نفي الظُّلم ليست واحدة ولا اثنتين ولا ثلاثة ولا أربعة ولا خمسة، مع أنَّ الأدلَّة

التي تأتي في النَّفي قليلة؛ لكنَّ الظُّلم تخصيصًا وقع في القرآن غير مرَّة منفيًّا بطرائق مختلفة، ومع ذلك لم يأت إثبات العدل له ﷻ باسم العادل؟

الجواب: أنَّ العرب كانت تتمدَّحُ بالظُّلم كما قال شاعرهم:

وَمَنْ لَا يَظْلَمِ النَّاسَ يُظْلَمِ.

فعندهم أنَّ الأصل أنَّ العلو يكون بظلم الخلق، العرب كانت ترىٰ أنَّ الكمال في ظلم الخلق لا العدل، فلأجل نزع هٰذه الخلَّة من نفوسهم وتقرير قيام مصالح الدَّارين في الدُّنيا والأخرىٰ علىٰ العدل جاء القرآن والسنة طافحان بنفي الظُّلم عن الله ﷻ وعدم تسمية الله ﷻ بالعادل.))

[[فكلُّ نفي جاء فيه فمقصوده إثبات الكمال المقابل للصِّفة المنفيَّة، وهٰذه قاعدة نافعة في هٰذا الباب.]] وهٰذا هو مقصود النَّفي في هٰذا الباب.

[[ومن القواعد التي ينبغي أن تعقل في هٰذا المحل أنَّ الأسماء والصِّفات مردُّها إلىٰ النَّقل، فلا بد من ورود دليل قرآني أو حديث نبويٍّ صحيح لإثبات شيء من أسماء الله وصفاته، وهٰذا هو معنىٰ قول أهل العلم في هٰذا الباب (أسماء الله وصفاته توقيفية) أي موقوفة علىٰ ورود الدَّليل بها لتعذُّر العلم بها دون خبر صادق بطريق الوحي، وما ورد في آثار الصَّحابة منها فهو من جملة السُّنّة لأنَّها في هٰذا الباب لا تقال من قبل الرَّأي، فهي خبر عن غيب فتكون مرفوعة حكما.

((والإثبات المتعلِّق بالأسماء والصِّفات نوعان:

أحدهما: إثبات الكمالات المجملة؛ كالحمد المطلق والمجد المطلق.

والآخر: إثبات الكمالات المفصَّلة؛ كتفاصيل علم الله ورحمته.

والنَّفي المتعلِّق بالأسماء والصِّفات نوعان:

أحدهما: نفي السَّميِّ في الكمال كالشَّريك والنِّد والمِثْل.

والآخر: نفي ما يضادُّ كمال الله من النَّقائص والعيوب كالنَّوم والموت.))

ومن القواعد ((النَّافعة)) التي ينبغي عقْلُها في هٰذا الباب أيضًا أن تعلم أنَّ كلَّ اسم من أسماء الله ﷻ متضمِّنٌ لصفة من صفاته أو أكثر، فاسم الله متضمِّن لصفة الألوهية، واسم الرَّحمٰن متضمِّن لصفة الرَّحمة. وهٰذا من طرائق إثبات الصفات وفي ذلك قلتُ:

أَسْمَاءُ رَبِّنَا عَلَىٰ الصِّفَاتِ مِنَ الأَدِلَّةِ لِذِي الإِثْبَاتِ

أي عند صاحب الإثبات، فمُثبتة الصِّفات من طرائقهم وجود اسم إلٰهي يتضمَّنها. ((فكلُّ اسم من أسماء الله ﷻ فهو مشتمل علىٰ إثبات صفةٍ من صفاته، وقد يتضمَّن الاسم أكثر من صفة لربِّنا؛ لكن لا بد أن يساعد عليه الوضع اللُّغوي ولا يأباه الدَّليل الشَّرعي.

((ومن قواعد الباب التي تمسُّ الحاجة إليها أن القول في الصِّفات تابعٌ للقول في الذَّات، فهو فرعٌ عنه، صرَّح بها جماعةٌ كالخطابي والخطيب وآخرين، فكما أنَّ إثبات الذَّات هو إثبات وجود لا كيفية، فكذلك إثبات الصِّفات إثبات وجود لا كيفية، فمن أثبت وجود الله ﷻ ممتنعًا علىٰ تكييف ذاته وجب عليه أن يُثبت صفات الله ﷻ ممتنعًا عن تكييفها، وهٰذا معنىٰ قولهم: القول في الصِّفات فرعٌ عن القول في الذَّات، ونظم هٰذا ابن عدُّود في مجمل الاعتقاد فأحسن إذ قال:

وَمَـا نقـولُ في صِفـاتِ قـُدسهِ فـرعُ الـذي نـقولهُ في نَفسـهِ
فإن يقُلْ جهميهُم كيفَ استوىٰ كيـفَ يجـيْ فـقل كيـفَ هُـوَا

أي إذا اعترض معترضٌ علىٰ إثبات الصِّفات، فإنَّ اعتراضه يُنقض بسؤاله عن كيفية الذَّات فإذا امتنع عن تكييف الذَّات وأعلن عجزه عن ذلك شرعًا وعقلًا وجب عليه أن يُذعن أيضًا بإثبات الصِّفات دون تعرُّضٍ لتحقيق كيفيَّاتِها.

ومن القواعد النَّافعة في هٰذا الباب أيضًا أنَّ الصِّفات الإلهية قسمان:

أحدهما: صفاتٌ ذاتيَّة ملازمة لله ﷻ كالحياة والعلم.

والآخر: صفات فعلية تابعة لاختيار الله ومشيئته كالاستواء والنُّزول.))

۞۞۞۞

وَقَدْ دَخَلَ فِي هِذِهِ الْجُمْلَةِ: مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ «الإِخْلاَصِ» الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، حَيثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص]، وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾[البقرة]. أَيْ لاَ يُكْرِثُهُ وَلاَ يُثْقِلُهُ، وَلِهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلاَ يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ يُصْبِحَ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان:٥٨].

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾[الحديد]، وَقَوْلُه سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [التحريم]، ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾ [التحريم]، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ﴾[سبإ:٢]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾[الأنعام]، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ﴾[1]، وَقَوْلُهُ: ﴿لِّتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ۝١٢﴾ [الطلاق:١٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذَّاريات].

وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشُّورىٰ]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨﴾[النساء].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾[الكهف:٣٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۝٢٥٣﴾[البقرة]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾[الأنعام:١٢٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١﴾[المائدة].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥﴾ [البقرة]، ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات]، ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧﴾[التَّوبة]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢﴾[البقرة]، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة:٥٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا

---

(١) سورة: فاطر، الآية (١١)، فصلت، الآية (٤٧).

كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾[الصَّف]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[آل عمران:٣١].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[1]

وَقَوْلُهُ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾[النمل]، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[غافر:٧]، ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾[الأحزاب]، وَقَالَ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2]، ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾[يوسف].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾[النساء:٩٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾[محمد:٢٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ﴾[الزخرف:٥٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾[التوبة:٤٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾[الصَّف]، وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۖ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾[البقرة:٢١٠]، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا﴾ [الأنعام:١٥٨]، ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[الفجر]، ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان:٢٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرَّحمٰن]، وَقَوْلُهُ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٧٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥]، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[المائدة:٦٤].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطُّور:٤٨]، ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾[القمر]، ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾[طه].

وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة:١]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[آل عمران:١٨١]، ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾[الزُّخرف]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾[العلق]، وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[التوبة:١٠٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾[الرَّعد]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾[آل عمران]،

---

(١) سورة: المائدة، الآية (١١٩)، التَّوبة، الآية (١٠٠)، المجادلة، الآية (٢٢)، البيِّنة، الآية (٨).
(٢) سورة: يونس، الآية (١٠٧)، الأحقاف، الآية (٨).

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾[الطارق]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النمل].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾[النساء]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[النور].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [المنافقون:٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾[ص].

وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرَّحمٰن].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[البقرة]، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾[البقرة:١٦٥]، ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [التغابن]، وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾[الفرقان]، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾[النحل]، وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف].

وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[طه]، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴾ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ،(١) وَقَوْلُهُ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾[آل عمران:٥٥]، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ﴾[النساء:١٥٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ﴾ [فاطر:١٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ﴾ [غافر]، وَقَوْلُهُ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾[الملك]، وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد]، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾[المجادلة:٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة:٤٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾[طه]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم

---

(١) سورة: الأعراف، الآية (٥٤)، يونس، الآية (٣)، الرعد، الآية (٢)، الفرقان، الآية (٥٩)، السَّجدة، الآية (٤)، الحديد، الآية (٤).

مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[النحل]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[الأنفال]، وَقَوْلُهُ: ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾[البقرة].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾﴾[النساء]، ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾﴾[النساء:١٢٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾[المائدة:١١٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾[الأنعام:١١٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾﴾[النّساء]، وَقَوْلُهُ: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [البقرة:٢٥٣]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]، ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾﴾[مريم]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾[الشّعراء] ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَنَادَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾[الصافات:١٠٤-١٠٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾﴾[الأعراف:٢٢]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾[القصص:٦٢]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٦]، ﴿وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ﴾[البقرة:٧٥]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَاۖ﴾ [الفتح:١٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾[الكهف:٢٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النّمل:٧٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ﴾[1]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر:٢١]، ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾[النحل].

وَقَوْلُهُ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾[2]، وَقَوْلُهُ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس:٢٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴿٣٥﴾﴾ [ق].

وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللهِ كَثِيرٌ، مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَىٰ مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ.

لمَّا قرَّر المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ قاعدةَ أهل السُّنَّة والجماعة في باب الأسماء والصِّفات ذكر آياتٍ وأحاديثَ [[تدخل في الجملة المتقدِّمة]] تتضمَّن طرفًا حسنًا منها.

ومن القواعد التي ينبغي عقْلُها في هٰذا المحل أن تعلم أنَّ الأسماء والصِّفات مردُّها إلىٰ النَّقل فحسب، فلابدَّ من ورود دليل قرآني أو حديث نبوي صحيح لإثبات شيء من أسماء الله ﷻ أو صفاته. وهٰذا هو معنىٰ قول أهل العلم في هٰذا الباب: أسماء الله وصفاته توقيفية؛ أي: موقوفة علىٰ ورود الدَّليل

---

(١) سورة: الأنعام، الآية (٩٢، و١٥٥).
(٢) سورة: المطففين، الآية (٢٣، و٣٥).

بها لتعذُّر العلم بها دون خبرٍ صادقٍ من الوحي.

فموجب اقتصار شيخ الإسلام علىٰ الآي والأحاديث في باب الأسماء والصِّفات هو كون الباب مردودًا إلىٰ النَّقل المحض [[كما تقدَّم]]، والنَّقل هو الكتاب والسُّنَّة، فما خرج عنهما فلا يثبت به اسمٌ ولا صفة من صفات الله ﷻ، وما ورد في آثار الصَّحابة رضي الله عنهم فهو من جملة السُّنَّة في هٰذا الباب لأنَّه لا يقال من قِبل الرَّأي؛ بل هو خبرٌ عن غيْبٍ مبنيٍّ علىٰ خبر عن صادق مصدوق هو النَّبي ﷺ، فصار مرفوعًا حُكمًا.

وقد استغنىٰ المصنِّف رحمه الله تعالىٰ بسياق الآيات والأحاديث إجمالًا عن تفصيل ما فيها من المعاني لظهور دلالاتها علىٰ ما ذُكر فيها من الأسماء والصِّفات [[وعدة الأدلة القرآنية ((التي ذكرها)) مائة وعشرة (١١٠)، وعدَّة الأدلَّة الحديثية ستَّة عشر (١٦)]].

ومن القواعد التي ينبغي أن تعلمها في هٰذا المحلّ أن تعلم أنَّ كلَّ اسم من أسماء الله ﷻ فإنَّه متضمِّن لصفةٍ من صفاته، فمثلًا اسم (الله) متضمِّنٌ لصفة الألوهية، واسم (الرَّحمٰن) متضمِّن لصفة الرَّحمة، فكلُّ اسم من أسماء الله يدلُّ علىٰ صفة من صفات ربِّنا ﷻ.

{{وإلىٰ ذلك أشار ابن عدُّود في نظمه، إذ قال:

أَسْمَاؤُهُ الحُسْنَىٰ عَلَىٰ الصِّفَاتِ دَلَّتْ فَذَلَّتْ أَوْجُهِ النُّفَاةِ

أي كل اسم من أسماء الله يدلُّ علىٰ صفة من صفات ربِّنا ﷻ}}

وممَّا ذكره المصنِّفُ رحمه الله تعالىٰ في هٰذا الباب من أدلَّة النَّقل:

سورة الإخلاص وفيها من الأسماء: الله، والصَّمد وهو السَّيد الكامل المقصود في قضاء الحوائج، وفيها من الصِّفات: الألوهية والأَحدية والصَّمدية، ونفيُ الولد ونفي الوِلادة، ونفي الكُفء وهو المماثل.

ومن ذلك أيضًا آيةُ الكُرسي ففيها من الأسماء: الله ، والحيّ ، والقيُّوم أي: القائم بنفسه وعلىٰ غيره، وفيها أيضًا من الأسماء: العليّ والعظيم. وفيها من الصِّفات: الألوهية، ونفي النَّوم، والسِّنَة وهي النُّعاس، وإثبات المُلك والعَظمة والعِلم والمشيئة [[والقدرة]] والحفظ {{والكلاءة}}، كما قال[[في آخرها]]: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ أي: لا يُكرثه ولا يُثقله ولا يُعجزه ولا يُكْلفه ﷻ حفظ السَّمٰوات والأرض [[كما ثبت هٰذا التفسير عن ابن عباس وصاحبه مجاهد بن جبر رحمهما الله]].

ومن ذلك قوله سبحانه في هٰذا الباب: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ ففيه من الأسماء: الحيّ، وفيه من الصِّفات: الحياة، [[ونفيُ الموت]].

ثم ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ **سَبْع آيات** فيها إثبات صفة العلم أوَّلها قوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾{الآية} وآخرها قوله تعالىٰ: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

وفي **الآية الأولىٰ** منها إثبات أربعة من أسماء الله ﷻ هي: الأوَّلُ، والآخر، والظَّاهر، والباطن، وصحَّ عن النَّبي ﷺ عند مسلمٍ تفسير (الأوَّل) بأنَّه الذي ليس قبله شيء، وتفسير (الآخر) أنَّه الذي ليس بعده شيء، وتفسير (الظَّاهر) أنَّه الذي ليس فوقه شيء، وتفسير (الباطن) أنَّه الذي ليس دونه شيء، وفيها إثبات صفة الأوَّلية والآخرية والظَّاهرية والباطنية.

وفي **الآية الثَّانية** منها إثبات اسم (الحكيم) وصفة الحِكمة والحُكم [[والإحكام]] أيضًا؛ لأنَّ اسم (الحكيم) دالٌّ علىٰ [[ثلاث صفات]][1] تتعلَّق بهذا الأصل: أحدها الحكمة وثانيها الحُكْم، [[وثالثها: الإحكام]] وبه يُعلم أنَّ الاسم قد يتضمَّن أكثر من صفة؛ لكن لابدَّ أن يساعد علىٰ ذلك الوضع اللُّغوي ولا يأباه النَّقل الشَّرعي، والوضع اللُّغوي هنا مساعد عليه وليس في الشَّرع دليل يمنعه.

وفي **الآية السَّادسة** منهنَّ وهي قوله تعالىٰ: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ إثبات صفة القدرة زيادة علىٰ صفة العلم.

ثم ذكر قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ وفيه من الأسماء: الله، والرَّزاق، والمتين، وذو القُوّة وهٰذا من الأسماء المضافة [[التي وقعت]] في القرآن الكريم مثل مالك الملك وربِّ العالمين، وقلَّ من أشار إلىٰ هٰذا الأصل وهو الأسماء المضافة، وهو مذكور في «الفتاوىٰ المصرية» لأبي العباس ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ.

فأسماء الله ﷻ باعتبار الإفراد والتَّركيب نوعان اثنان:

أحدهما: الأسماء المفردة مثل: الله والرَّحمٰن والرَّحيم.

والآخر: الأسماء المضافة مثل: ربُّ العالمين ومالك الملك.

فإنَّ الربَّ[2] والمالك لم يأتيا في القرآن إلا مضافين كقوله تعالىٰ في الأول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الأنعام:١٦٤]، وقوله في الثَّاني: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[الفاتحة]

---

(١) في شرح المسجد النبوي: صفتين.

(٢) جاء اسم (الرب) مرة في القرآن غير مضاف في سورة يس في قوله تعالىٰ: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾، ذكر ذلك الشَّيخ صالح العُصيمي في تعليقه علىٰ رسالته «معاني الفاتحة وقصار المفصل» بالمسجد النبوي يوم الخميس ١٢/ ربيع الآخر/ ١٤٣٢هـ.

وقوله: ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾[آل عمران:٢٦].

وفيه من الصِّفات: الألوهية والرَّزق {بفتح الرّاء} وليس الرِّزق بكسرها؛ لأنَّ الرَّزق هو الصِّفة، أمَّا الرِّزق فهو المخلوق المعدُّ منه ممَّا يصيبه المخلوق من قسمة الله ﷻ لرَزقه ممَّا يعطيه عباده، فالصِّفة من هٰذا الأصل هي الرَّزق وليست الرِّزق.

وفيه من الصِّفات أيضًا: القوة والمتانة، والمراد بالمتانة شدّة القوة.

ثم ذكر بعدها آيتين فيهما من الأسماء: اسم السَّميع والبصير، وفيهما من الصِّفات: صفة السَّمع والبَصَر والبُصْر والبَصِيرة، وهاتان الصِّفتان الأخيرتان قلَّ من ذكرهما، وهي صريح الآية باعتبار الوضع اللُّغوي للباء والصاد والراء، فاسم (البصير) لربِّنا ﷻ دال علىٰ ثلاث صفات تتعلَّق بهذا الاسم:

أوَّلها صفة البصر وهي المتعلِّقة بإدراك المرئيات.

والثَّانية صفة البُصْر وهي بمعنىٰ العلم إلَّا أن بينهما اشتراكا وافتراقا [[ومتعلقها جلائل المعلومات]] ((البصرية)).

والثَّالثة صفة البصيرة [[ومتعلقها دقائق المعلومات]]، {لا أعرف أحدا ذكرها إلَّا الشَّيخ عبد الرَّحمٰن بن سعدي في موضع في تفسيره، وهو مقتضىٰ اللسان العربي}.

[[وهؤلاء الصِّفات هي صريح الاسم باعتبار الوضع اللغوي للباء والصَّاد والرَّاء]].

((ونظير هٰذا اسم (الخبير) فإنَّه دال علىٰ ثلاث صفات:

إحداهما: الخَبر ومتعلَّقها المعلومات من جهة الخبر.

وثانيها: الخُبْر ومتعلَّقها جلائل المعلومات الخبرية.

والثالثة: الخِبْرَة ومتعلقها بواطن المعلومات.))

ثم ذكر ثلاث آيات فيهنَّ صفة المشيئة والإرادة أوَّلها قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ وآخرها قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ الآية.

ثم ذكر سبع آياتٍ فيهنَّ صفة المحبَّة أوَّلها قوله تعالىٰ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وآخرها قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾.

ثم ذكر قوله تعالىٰ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ وهو دالٌّ علىٰ صفة الرِّضا.[١]

ثم ذكر ست آيات في صفة الرَّحمة أوَّلها قوله تعالىٰ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وآخرها قوله تعالىٰ: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ وفي بعضها التَّصريح باسم الرَّحمٰن واسم الرَّحيم لله، [[وفي آخرها من الأسماء المضافة أرحم الراحمين]] وفي الثَّانية منهنَّ ذِكر صفة العلم، وفي السَّادسة وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ إثبات اسم الغفور وصفة المغفرة، وفي الأخيرة وهي قوله تعالىٰ: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ﴾ إثبات صفة الحفظ، وكل هٰذا زائد [[علىٰ الصِّفة التي تدور عليها]] الآيات [[وهي]] صفة الرَّحمة.

ثم ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ تسع آياتٍ تدلُّ علىٰ صفات تتعلَّق بمشيئة الله وفعله واختياره أوَّلها قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ وآخرها قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾[[الآية]]، فقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ فما بعده دالّ علىٰ إثبات صفة الغضب واللَّعن، والآية بعده وهي قول الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ دالّ علىٰ إثبات صفة السَّخط أو السُّخْط بالفتح والضّم فهما ضبطان صحيحان فالصِّفة صحيحة بهما معًا، {والثانية: الألوهية} وفيها أيضًا إثبات صفة [[الرِّضوان]][٢]، ثم في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ إثبات صفة الأسف وهي شدَّة الغضب {لأنَّ كلَّ صفة ثابتة لله ﷻ إن لاقت غيره في أصلها فارقتها في قدْرها}. ثم في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ إثبات صفة الكراهة والكراهيّة، وهما أيضًا لغتان في هٰذا الحرف، وإثبات صفة التَّثبيط كما في قوله: ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ والتَّثبيط هو الحبس والمنع، وفيما بعدها إثبات صفة المقت وهو شدّة البغض، والآيتان بعدها وهما قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ فيهما إثبات صفة الإتيان والمجيء لله ﷻ. أمَّا الآية التَّاسعة وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ أُدخلت في باب آيات الصِّفات باعتبار المذكور فيها مقدِّمة لمجيء الله ﷻ فلأجل ما بينهما من

---

(١) (قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ وفيه إثبات اسم (الغفور) واسم (الودود)، وصفة المغفرة وصفة الوِدّ، والودّ خالص المحبة. [[والود مثلثة الواو فتُضمُّ وتفتح وتكسر]].) هٰذه الآية غير موجودة في النسخة المعتمدة، وهي موجودة في غيرها، فأنزلت التَّعليق عليها إلىٰ الحاشية.

(٢) في شرح المسجد النبوي (الرضا).

التَّلازم ذُكرت هٰذه الآية في الباب، فهي ليست صريحةً في صفة ربِّنا؛ ولكنَّها ملازمةٌ لهَا فإنَّ الله ﷻ إذا قضىٰ بمجيئه وإتيانه تشقَّق السَّماء بالغمام ونُزِّل الملائكة تنزيلا.

ثم ذكر آيتين في إثبات صفة الوجه هما قوله تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ وفي الأولىٰ منهما تسمية الله: الرَّبّ وذو الجلال والإكرام، وهٰذا من الأسماء المضافة أيضًا التي تقدمت قاعدتها، والجلال هو غاية العظمة.

ثم ذكر آيتين في إثبات صفة اليدين لله ﷻ.((قال الله تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ وقال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ واقتصر المصنِّف علىٰ ما ورد فيه ذكر اليد مثناة دون الإفراد والجمع مع ورودهما في القرآن لأنَّ المثنَّىٰ إذا أطلق لم يرد به خلافه، بخلاف الإفراد والجمع فربَّما يُطلق المفرد للإرادة الجنس، ويطلق الجمع لإرادة التَّعظيم، أما المثنىٰ فإنَّ العرب إذا ذكرت المثنىٰ فلا تريد إلَّا حقيقته من كونه مثنىٰ، وعلىٰ هٰذا قول الله ﷻ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[الملك:١] فيه إثبات الصِّفة بذكر جنسها، وقوله تعالىٰ في سورة يس: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾[يس:٧١] ذكر الجمع علىٰ إرادة تعظيم الله ﷻ لموافقة الخفة للسان العربي كما سيأتي.))

ثم ذكر ثلاث آيات في إثبات صفة العينين لله: تارة بالإفراد كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾، وتارة بالجمع كما في قوله تعالىٰ في الآيتين الأوليين ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾، ولم تأتِ التَّثنية ((قط)) في القرآن الكريم لهٰذه الصِّفة، ولا جاءت صريحةً في الأحاديث الصَّحيحة عن النَّبي ﷺ؛ لكن صحَّ في «الصَّحيحين» عنه ﷺ أنَّه قال في صفة الدَّجال: «**إنَّه أعور وإنَّ ربَّكم ليس بأعور**» والعَوَر في لسان العرب صفة ذي عينين إحداهما سليمة والأخرىٰ مَعِيبة، ((فلا يطلق اسم العور علىٰ من له عين واحدة))، ونفيه يتضمّن إثبات العينين لله ﷻ ونفي العيب والنَّقص عنهما، والإفراد للعين في قوله تعالىٰ: ﴿عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ دالٌّ علىٰ جنس الصِّفة، والتَّثنية دالَّة علىٰ حقيقتها، والجمع في قوله: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ وقع علىٰ جهة المشاكلة في [[سياق]] الكلام، فإنَّ العربَ إذا أضافت المثنَّىٰ إلىٰ ضمير تثنية أو جمع جمعته؛ لأنَّه أيسر في اللَّفظ وأجرىٰ في الكلام كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم:٤] [[يريد عائشة وحفصة رضي الله عنهما]] ومن المقطوع به أن كل بدن يشتمل علىٰ قلبٍ واحد فهما لهما قلبان لا أكثر، وجُمع اسم القلب بذكرهما فقيل: ﴿قُلُوبُكُمَا﴾ لأنَّ المثنَّىٰ أضيف إلىٰ ضمير تثنية فناسبه في خفَّة الكلام وجريان اللِّسان أن يُجمع هٰذا اللفظ، [[وهٰذا هو الواقع في القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿قُلُوبُكُمَا﴾، وكذلك في قوله تعالىٰ في آخر سورة يس : ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾[يس] فجُمعت اليد وهي مثناة

في صفة ربنا علىٰ جهة المشاكلة في الكلام]]، وقد ذكر هٰذه القاعدة ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في «كتاب الصَّاحبي» وهي واقعة في مواضع عدَّة من كلام الله ﷻ.

وقد يتوهَّم متوهم أن إثبات العينين لله بالحديث الوارد في صفة الدَّجال أنَّه من قبيل قياس صفة الخالق علىٰ صفة المخلوق!

وهٰذا من الجهل بلسان العرب، إذ لا مدخل لهٰذا بالقياس، وإنَّما هو مبني علىٰ ما تفهمه العرب من كلامها إذا ذكرتِ العوَر، فإنَّ العرب لا تطلق العور علىٰ ذي عين واحدة، ولا تطلقه علىٰ ذي أعين عديدة، وإنَّما تُطلقه علىٰ ذي عينين إحداهما سليمة والأخرىٰ مَعيبة، فعُلم بمقتضىٰ اللِّسان العربي أنَّ معنىٰ قوله ﷺ : «**إنَّ الدَّجال أعور وإنَّ ربَّكم ليس بأعور**» أنَّ الدَّجَّال له عينان إحداهما ذاهبة معيبة والأخرىٰ باقية سليمَة، وأمَّا اللهُ ﷻ فإنَّه ليس بأعور؛ أي له عينان نزِّهتا عن العيب والنَّقص الذي ذُكر في الدَّجَّال، وقد استدلَّ بهذا كبار الأئمة كأحمد ((بن حنبل))وعثمان ((بن سعيد)) الدَّارمي رحمهما الله تعالىٰ.

وفي الآية الثَّالثة منهنَّ وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ إثبات صفة المحبَّة زائدة علىٰ ما تقدَّم.

ثم ذكر سبع آيات أوّلها قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ﴾ وآخرها قوله تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ فثلاثٌ منهنَّ تدل علىٰ صفة السَّمع، وثلاثٌ منهن تدلُّ علىٰ صفة الرُّؤية، وبينهما آية تجمع هٰذا وذاك وهي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾.

ثم ذكر أربع آيات أوَّلها قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ وآخرها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ فيهنَّ [[إثبات]] صفة المكر ((قال تعالىٰ: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾)) والكيد والمِحال، وكمالها في مقابلة أهل المكر والكيد والمِحال ((المستحقِّين للمجازاة بجنس صنيعهم))، والمِحال هو المغالبة بمكر وكيد.

ثم ذكر آيتين فيهما زيادةً علىٰ ما تقدم اسم العفوّ وصفة العفو.

ثم ذكر آيتين في إثبات صفة العزَّة لله.

ثم ذكر آيةً[1] فيهَا وصف الله بالجلال والإكرام، والجلال هو غاية العظمة كما سبق.

ثم ذكر عَشْر آيات أوَّلها قوله تعالىٰ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾، وآخرها قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ

---

(١) الشيخ قال: آيتين، في الشُّروح.

﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ الآية، لتقرير مسألة الصِّفات المنفيّة التي تسمَّىٰ بالسَّلبية، وهي الصِّفات التي نفاها الله ﷻ عن نفسه أو نفاها عنه رسوله ﷺ، والمراد من النَّفي -كما تقدَّم- هو إثبات الكمال المقابل؛ لأنَّ النَّفي ليس كمالا في ذاته؛ ولكن الكمال في إثبات مقابله، وفيها نفي السَّمي والكفء والنِّد، ومعناها يدور علىٰ المكافأة والمثلية والنَّظير، وفيها أيضًا نفي الولد والشَّريك في المِلك والوليّ من الذُّل والآلهة المتعدِّدة والأمثال المضروبة لله ﷻ، وذكر [[المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ]] فيها قوله تعالىٰ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآية، وهي أصلٌ في تنزيه الله عمَّا لا يليق به من النَّقائص والعيوب، وختم تقرير الصِّفات المنفية المسمَّاة بالسَّلبية بقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [[الآية]] للردّ علىٰ طائفتين اثنتين:

أولاهما المشبِّهة الذين وقعوا في الشِّرك إذ شبَّهوا الرَّب بخلقه.

والثَّانية المعطِّلة الذين نفوا عن الله ﷻ كمالَه وقالوا في ذلك بغير علم.

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ آيات عدَّة أولها قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، وآخرها قوله تعالىٰ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ﴾ كلُّها في إثبات صفة العلوّ والاستواء علىٰ العرش والمعية لله ﷻ.

((فصفة الاستواء، وردت في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ في ستَّة مواضع من القرآن ، لماذا كُرِّرت في القرآن فالتَّكرار إذا وقع في القرآن فإنَّ له مقتضىٰ يوجب هٰذا؟ وقع تكرارها لأمرين:

أحدهما: تأكيد ثبوت الصفة الإلهية، فما أعيد ذكره مرة بعد مرة يعسر نفيه.

والآخر: منع إرادة المجاز وإثبات كونها علىٰ الحقيقة.))

ثم ذكر بعدها الآيات الدَّالةَ علىٰ صفة الكلام لله، وأطال في سياقها، والمقتضي للبسط بذكر الأدلَّة هو جلالة المسألة ووقوع البليَّة بها في فِرَق الأمة إذ حصلت فيها الخصومة ونجمت منها الفتنة، وفي ضمن هٰذه الآيات إثبات أنَّ القرآن كلام الله.

ثم ختم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الآي التي أوردها بذكر أربع آيات أولاهنّ قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وهٰذه الآية وما بعدها فيهنَّ إثبات صفة التَّجلِّي.

وجعْلُ هؤلاء الآيات {المذكورة في هٰذا الموضع من هٰذه العقيدة} للدَّلالة علىٰ إثبات رؤية المؤمنين ربَّهم ﷻ غلطٌ من جهتين :

الجهة الأولىٰ: أنَّ الكلام هنا في سياق صفات الخالق، ورؤيةُ المُؤمنين ربَّهم في الآخرة صفةٌ للمخلوق، فلا مدخل لها هٰهنا.

والثانية: أنَّ المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ سيذكر هٰذا الأصل [[العظيم]] {وهو رؤية المؤمنين لربِّهم فيما يستقبل} في الموضع اللَّائق به في أمور الآخرة فيما يُستقبل من هٰذه العقيدة.

فالمراد من هؤلاء الآيات إثبات صفة التَّجلي لله ﷻ إذ فيها ذكر رؤية المُؤمنين ربهم مصرَّحا به في الآيتين الأوليين وهو الزِّيادة والمزيد المذكور في الآيتين الأخيرتين، وإنَّما تقع الرُّؤية بتجلِّيه [[ﷻ]]، وقد وقع التَّصريح بهذه الصِّفة في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾[الأعراف:١٤٣]، وفي الصَّحيح [من] حديث جابر عند مسلم مرفوعًا]] أيضًا أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**فيتجلَّىٰ لهم يضحك**» أي الله، وبيَّن بعد هٰذا أنَّ هٰذا الباب في كتاب الله كثير ومن تدبَّر القرآن طالبًا للهدىٰ منه تبيَّن له طريق الحق.

والأسماء والصِّفات مردُّها إلىٰ الوحي وهو القرآن والسُّنة كما سبق.

((ولما فرغ المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ من سياق الآيات المختارة بيَّن أنَّ (هَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ كَثِيرٌ، مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَىٰ مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ).))

((فمن الأسماء الإلٰهية الواردة في الآيات القرآنية المذكورة :

اسم (الله) قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وقال: ﴿لِّتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ۝١٢﴾ إلىٰ غير ذلك من الآيات التي ذكرها المصنف..

ومن الأسماء الإلٰهية أيضًا الواردة في الآيات المتقدِّمة اسم (الأحد) قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ولم يأت اسم الأحد في القرآن معرَّفًا، وإنَّما ورد كذلك في السُّنَّة النَّبويَّة الصَّحيحة.

ومنها: **الصَّمد**، قال الله تعالىٰ : ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾.

ومنها: **الحيّ والقيُّوم**، قال الله تعالىٰ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾.

ومنها: **العليّ والعظيم**، قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾.

ومنها: **الأوَّل والآخر والظَّاهر والباطن** ، قال الله تعالىٰ : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾.

ومنها: **العليم والخبير والحكيم**، قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾، وقال: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾، وقال: ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾.

ومنها: **الرَّزَّاق وذو القوة والمتين**، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾. ذو القوة أي صاحب القوة.

ومن قواعد هٰذا الباب اللَّازمة النَّافعة أنَّ الصِّفات المتعدِّدة التي ترجع إلىٰ أصلٍ واحدٍ يقطع باختلاف معانيها لما يقتضيه ذلك من زيادة الكمال لبيان الزِّيادة في كمال الله ﷻ، فإذا وجدت جملة من صفات الله ﷻ ترجع إلىٰ أصلٍ واحدٍ في الوضع اللُّغوي فاعلم أنَّ كلَّ صفة فيها زيادة عن الأخرىٰ وأنَّها مع غيرها ليست من جنس التَّرادف المطلق الذي لا يزيد فيه أحد اللَّفظين عن الآخر، كهذا المثال فإنَّ القوَّة المستفادة من اسمه المضاف (ذو القوة) تفيد القوَّة لله، وأمَّا اسم (المتين) فيفيد إثبات القوَّة الشَّديدة فهو يفيد قوة وزيادة.

منها: **السَّميع والبصير**، قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾.

ومنها: **الغفور**، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، وقال: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

ومنها: **الرَّحمٰن والرَّحيم**، قال الله تعالىٰ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾ وقال: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

ومنها: اسم **الرَّبّ** قال تعالىٰ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾، وقال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ إلىٰ آخر الآيات المذكورة المثبتة لاسم الرَّبِّ مما ذكره المصنِّف.

ومنها: **العفوُّ والقدير**، قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾.

ومنها: **أرحم الرَّاحمين**، قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

ومنها: **خير الماكرين**، قال الله تعالىٰ ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

ومنها: **عالم الغيب والشَّهادة**، قال الله تعالىٰ: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ وهٰذه الأسماء الثَّلاثة الأخيرة كلُّها أسماء مضافة.

ومن الصِّفات الإلهية الواردة في الآيات المذكورة: الألوهية، والأحدية، والصَّمدية، والحياة، والقيُّومية، والعلو، والعظمة، والأوَّليَّة، والآخرية، والظَّاهرية، والباطنيَّة، والعلم، والحُكم، والحكمة، والخَبَر، والخُبر، والخِبْرة والرَّزق بفتح الرَّاء، والقوَّة، والمتانة، والسَّمع، والبَصر، والبُصر، والبصيرة، والمغفرة، والرَّحمة، والرُّبوبية والعفو والقدرة والتَّقدير، وهٰذه الصِّفات مستفادة علىٰ التَّوالي من أسماء ربَّنا التي تقدمت: الله والأحد والصَّمد والحيّ والقيُّوم إلىٰ آخر ما مضىٰ.))

فائدة في طلب العلم: ((كما أنَّ الاستفادة أعظم أبوابها حرص الإنسان علىٰ الأدب، والإنسان لا يطلبُ أدبًا لنفسه فإنَّ ما علىٰ التُّراب تراب، ولكن يطلب أدبًا لأجل جلال العلم وهيبته وأنَّه إرث النَّبي ﷺ، وتقدَّم أنَّ يوسف بن الحسين قال: بالأدب تَفهم العلم. فإذا جلس الإنسان بمجلس العلم فإنَّه ينبغي له أن يأخذ آدابه ويتمسَّك بها حتىٰ يستفيد ويؤنس حظَّه من عبودية العلم.

لماذا صرنا نجلس في مجالس العلم ونخرج وقلوبنا لم تتغيَّر ؟ ثم نقول: نجلس عند واعظ ويعظنا ويذكرنا الجنَّة والنَّار وتتغيَّر قلوبنا؟

لأنَّنا جعلنا العلم صورة وليس حقيقة، صار العلم هو الصُّورة الظَّاهرة عند النَّاس، له رسومٌ وأحوال ونواميس وقوانين، ونسي كثيرٌ من الخلق من المعلِّمين والمتعلِّمين علىٰ حدٍّ السَّواء أنَّ العلم عبادة يُتقرَّب بها إلىٰ الله ﷻ.

وإذا وُجد هٰذا المعنىٰ في قلب الإنسان نفعه العلم واستفاد من العلم، وقرَّبه إلىٰ الله ﷻ، ونبغ فيه في مدَّة يسيرة؛ لأنَّ من عظَّم ما لله عظَّمه الله ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج]، وذلك موجبٌ له غنيمة في الدُّنيا والآخرة، وخلاف ذلك يرجع علىٰ الإنسان بالوبال، إذا خالف الإنسان طريقة الشَّريعة في تعاطي العبادات فيها يفوته خيرٌ كثير، كالذي يُصلِّي وقلبه ضعيفُ الخُشوع يفوته منفعة الصَّلاة ويقلُّ أجره، وكذلك العلم يفوتُك العلم بقدر فوات هٰذه المعاني.

يا إخوان لن تنالوا العلم بقوَّةِ حفظكم، ولا جودة فهمكم، ولا كثرة درسكم، ولا براعة شيخكم، ولا طول جلوسكم.. وإنَّما تنالون العلم بالمِنَّة الإلهية والعطيَّة الرَّبَّانية والمنحة الصَّمدانية، فمن استمدَّها بحق أمدَّه الحقُّ، ومن لطَّخها كان حاله ما يناسب حاله، كما قال بعض السلف: من صَفَّىٰ صُفِّي له، ومن خلَّطَ خُلِّطَ عليه، قال ابن الجوزي في «صيد الخاطر»: تصفية الأحوال بحسب تصفية الأعمال. اهـ، فإذا صفَّىٰ الإنسان عمله صفَتْ له حاله، فإذا صفَّىٰ أخذه للعلم بالتماسه بالطَّريقة المأمور بها شرعًا فإنَّ الله ﷻ يفتح له خزائنه، وإنْ أخذه بغير طريق الشَّرع فإنَّه لا يُفتح له بابُه ولو كان أحفظ الخلق ذهنًا وأجودهم ذكاءً وأصفاهم قلبًا.

وأنتم تعلمون أنَّ تُجَّار أهل الدُّنيا لا يضعون أموالهم في المزابل، أفتظنُّون أنَّ الله يضع دينه في قلوبٍ لا تصلح؟! محال، محال سبحانه أن يضيِّع دينه، وهو الذي تكفل بحفظه، والشَّأن في أن تتطلَّب فيما يوصلك في أخذ العلم الذي تركه النَّبي ﷺ بالسَّير علىٰ طريقة أهل العلم، وإنَّما حُرِم كثيرٌ من النَّاس العلم بخروجهم عن جادَّة أهله إمَّا في الكتب التي يتعاطونها في التَّدريس والحفظ والقراءة، وإمَّا في أدب العلم، فتجد سفساف الأدب وسوءه تحتفُّ به كثير من مجالس أهل العلم، كيف يجلس طالب علم في

مجلس ثم تراه في أكثر من مجلس يتحدَّث عن يمينه ويتحدَّث عن يساره! ! لا يكون هٰذا أبدًا، أتظنُّ أنَّ الله يكرمك وأنت لم تكرم مجلسًا فيه آياتٍ تتلىٰ؟! سبحان الله! هٰذه الآيات التي في (العقيدة الواسطيَّة) لمن شفَّ نظره وسمَتْ نفسُه يجد أنَّها مصابيح الدُّجىٰ، وتنزل علىٰ قلبه كقطرات الغيث التي تنزل علىٰ الأرض الجافَّة، إذا سمعها ثم تجد بعد ذلك من يسمع هٰذه الآيات وهو يخفق رأسه يمنةً ويسرةً أو يلعب بجوَّاله أو غير ذلك، ليست قراءة الآيات فُرصة لكي تقضي بعض مشاغلك وتتحدَّث مع من علىٰ يمينك أو عن يسارك، هي فُرصة أن تجد قلبك، فإنَّ السَّلف كابن مسعود وغيرهم أوْصُوا أنْ يطلب الإنسانُ قلبَه في مواضع منها سماع آيات الله ﷻ.

وقد ذكر عبد الرَّحمٰن الثَّعالبي أحد علماء الجزائر في القرن التَّاسع أنَّه قرأ الأربعين النَّووية علىٰ العلامة الكبير ابن الحفيد، قال: فكنتُ إذا قرأتُ عليه حديثًا بكىٰ بكاءً شديدًا حتىٰ أتممتُ عليه الأربعين، إذا قرأ حديثًا واحدًا من الأربعين بكىٰ ابن الحفيد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ بكاءً شديدًا؛ لأنَّه يعرف أنَّ هٰذه الأحاديث كيف أدخلت في الأربعين؟ لأنها من جوامع الكلم النَّبوي ، فأنت تسمع أجمع ما صَدَرَ عن النَّبيِّ ﷺ، فمن عرف مقدار هٰذا الأمر قدَّره، وصار له أثرٌ في نفسه، ومن لم يعرف قدْرَه لم يدخل قلبه.

فالمقصود أنَّ الإنسان ينبغي له أن يجتهد في تأديبِ نفسه، وأن يُسقط حقَّها لا تتلمَّس لك في طلب ما يقرِّبك إلىٰ الله حق، من خضع لله رفعه الله، وعند أحمد بسند صحيح من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «من تواضع لله رفعه الله هكذا» ورفع رسول الله ﷺ يده، فمن تواضع في أخذه للعلم وسلك آدابه رفعه الله ﷻ، نسأل الله أن يرفعنا وإيَّاكم عنده.

نرجع إلىٰ أصل السُّؤال: كيف عرف أنَّ هٰذه الصفات مستفادة من الأسماء؟ كيف عرفنا أنَّ صفة الأحدية مستفادة من (الأحد)، وصفة الألوهية مستفادة من اسم (الله)، وهلم جرًّا؟

تخريجًا علىٰ القاعدة المتقدِّمة وبناءً عليها، وهي أنَّ أسماء الله ﷻ كلُّ واحد منها يتضمَّن صفة من صفات الله ﷻ أو أكثر.

من الصِّفات الإلهية أيضًا المذكورة في الآيات (**الملك**) كما قال ﷻ ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾.

منها: **المشيئة والإرادة**، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾.

ومنها: **الحفظ**، قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ وقال: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ أي لا يُكرثه ولا يثقله، ثبتت بهذا الآثار عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما، فلا يعجز ربُّنا عن حفظ السَّمٰوات والأرض لأنَّ ذلك لا يكلِّفه شيئًا لكمال قدرته.

ومن الصِّفات أيضًا: **المحبَّة**، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾ إلىٰ غير ذلك من الآيات التي ذكرها المصنِّف.

ومنها: **الكتابة**، قال الله تعالىٰ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾.

ومنها: **الرِّضا**، قال الله تعالىٰ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾.

ومنها: **الغضب واللَّعن**، قال الله تعالىٰ: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾.

ومنها **السَّخط والرِّضوان**، قال الله تعالىٰ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ والسَّخط والسُّخط بالفتح والضَّم ضبطان لغويان صحيحان للصِّفة، وهي شدَّة الغضب ومقابلها الرِّضوان بالكسر والضّم أيضًا.

ومن الصِّفات أيضًا: **الأسف والانتقام**، قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ والأسف هو شدَّة الغضب.

وينشأ هٰهنا إشكال لابد له من حلّال، فالإشكال أنَّ السَّخط هو شدَّة الغضب، وأنَّ الأسف هو شدَّة الغضب، وتقدم أنّ الصِّفات الإلهية المتعدِّدة التي ترجع إلىٰ أصل واحد في الوضع اللُّغوي لابد أن تكون كل واحدة منهما مشتملة علىٰ معنىٰ زائد.

فأين الزِّيادة هنا بين الأسف والسَّخط؟

الأسف الذي بمعنىٰ الحزن ليس ثابتًا لله، السُّخط أشدُّ من الأسف؛ لأنَّ السُّخط تقترن فيه شدَّة الغضب بالكراهة، فإنَّ الله يجعل الجزاء بالجنَّة، أن يقول: «أحللتُ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدًا» فالسُّخط أعلىٰ من الأسف.

ومنها: **الكراهة والتَّثبيط**، قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ والكراهة والكراهية لغتان تكون بهما الصِّفة ، والتَّثبيط الحبس والمنع.

ومنها: **المقتُ**، قال الله تعالىٰ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ والمقت هو أشدُّ البُغض.

ومنها: **الإتيان**، قال الله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾.

ومنها: **المجيء**، قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾.

وهٰهنا إشكال: وهو الفرق بين المجيء والإتيان، لأنَّهما قطعًا عند أهل العربية تشتركان في أصل واحد لكن بينهما فرق دقيق، ما الجواب؟

دائمًا إذا أردتم أن تعرفوا العربية فترجعون إلىٰ مقاييس اللُّغة؟! ، قال ابن القيم: وفي كتاب الله ﷻ من قواعد النحو والعربية ما لا يذكره كثير من المتكلمين فيها، كتاب الله، ذكره ابن القيم في «الصواعق» وصدق رَحِمَهُ اللَّهُ، فإنَّ هناك من مسائل النحو والعربية ما هو في القرآن وأغفله النحاة والمتكلِّمُون في اللُّغة.

ومن اللَّطائف العلمية: حدَّثني عبد القادر بن كرامة الله البخاري، قال: سمعتُ موسىٰ بن جار الله القازاني عالم قازان وهي بلاد التتر في القرن الماضي، يقول: القرآن قاموسُ الفقراء.

ولقيتُ شيخنا عبد الغني الدَّقل، عالم دمشق في العربية فقال لي: القرآن قاموس الفقراء.

هٰذه كلمة توارد عليهما عالمان، واعتبر هٰذا في قول الله ﷻ: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾[النحل:٢٦] أيُّهم أشدُّ الإتيان أم المجيء؟ الإتيان لأنَّ في الإتيان استئصال واستكمال للورود، فالإتيان أبلغ من المجيء.

ومن الصِّفات الإلهية أيضًا: **صفة الوجه**، قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، ووصف الوجه في الآية الأولىٰ بالجلال والإكرام والجلال هو غاية العظمة.

ومنها: **صفة الإنفاق**، قال الله تعالىٰ: ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾.

ومنها: **صفة العينين**، قال تعالىٰ : ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ وقال: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾، وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾.

ومنها: **صفة الحَمْل**، قال الله تعالىٰ: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾.

ومنها: **صفة الرُّؤية**، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ إلىٰ غير ذلك من الآيات..

ومنها: صفة **المحال**، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾، والمحال هو المغالبة بمكر وكيد.

ومنها: **صفة المكر**، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

ومنها: صفة **الكيد**، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾.

ومنها: صفة **العزَّة**، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

ومنها: **صفة الحمد**، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وقال: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾.

ومنها: **صفة الخلق**، قال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ ، وقال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾.

ومنها: **صفة التَّبارك والإنزال**، قال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾، وقال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ

مُبَارَكٌ ﴾.

ومنها: **صفة التَّحريم**، قال الله تعالىٰ: ﴿حَرَّمَ رَبِّيَ ﴾.

ومنها: **صفة الرَّفع**، قال الله تعالىٰ: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ وقال : ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾.

ومنها: **صفة العلو**، قال الله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ وقال: ﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ وقال: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾.

ومنها: **صفة المعيّة**، قال تعالىٰ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ وذكر المصنِّف آيات المعيَّة بعد آيات علوِّ الله واستوائه علىٰ العرش للإبطال توهُّم تنافيهما، وسيأتي ذكر هٰذا فيما يُستقبل.

ومنها: **صفة الإنباء**، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾.

ومنها: **صفة الحديث**، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾.

ومنها: **صفة القيل والقول**، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾ وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾.

ومنها: **صفة الكلام**، قال تعالىٰ: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ وقال: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ وقال: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ إلىٰ غير ذلك من الآيات.

ومنها: **صفة النِّداء**، وقال تعالىٰ: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾ وقال: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ ﴾.

ومنها: **صفة التَّقريب**، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ ﴾.

ومنها: **صفة التَّجلي**، قال الله تعالىٰ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ ، وقال: ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾، وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ وقال: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ ....

ومن الصِّفات المنفيَّة عن ربِّنا **النَّوم والسِّنَة** وهي النُّعاس، قال الله تعالىٰ:﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾.

ومنها: **نفي الموت**، قال تعالىٰ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾.

ومنها: **نفي الولد**، قال تعالىٰ: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾ وقال: ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾.

ومنها: **نفي الوِلادة**، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ ﴾.

ومنها: **نفي الكفْء**، وهو المماثل.

ومنها: **نفي السَّمي**، قال الله تعالىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾.

ومنها: **نفي النِّد**، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾.

ونفي السَّمي والكفء والنِّد تدور معانيها علىٰ نفي المثليَّة والمكافأة والمناظرة.

ومنها: **نفي الشَّريك والولي**، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾.

وهٰهنا إشكال: لأنَّنا قلنا: أنَّ من الصِّفات المنفيَّة نفي الولي، فكيف والله ﷻ يقول: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[يونس]، وفي «صحيح البخاري» في الحديث الإلهي: «من عادىٰ لي وليًّا» ما الجواب؟

الولي حينئذ يكون اسم فاعل بمعنىٰ ناصر، ويكون باسم مفعول أي منصور، فالله ناصر أم منصور؟ ناصر، فالولي المنفيّ ما كانت تعتقده العرب أنَّ لله ﷻ ناصر ينصره ويُعينه ويتصرَّف معه بما ينفعه.

ومنها: **نفي المثل**، قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾.))

۞۞۞۞

ثُمَّ سُنَّة رَسُولِ اللهِ ﷺ تُفَسِّرُ الْقُرآنَ، وتُبَيِّنُهُ، وتَدُلُّ عَلَيْهِ، وتُعَبِّرُ عَنْهُ، وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ ﷺ بِهِ رَبَّهُ ﷻ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ=[1] وَجَبَ الإيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ.

مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ». الْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «يَضْحَكُ اللهُ إِلَىٰ رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ؛ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ». حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَىٰ فِيهَا وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّىٰ يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ [وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمَهُ] فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَط قَط». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ: «يَقُولُ اللهُ ﷻ لآدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيُنَادِي بِصَوتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِن ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَىٰ النَّارِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حَاجِبٌ وَلَا تُرْجُمَانٌ».

وَقَوْلِهِ -فِي رُقْيَةِ الْمَرِيضِ-: «رَبُّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَىٰ هَذَا الْوَجَعِ؛ فَيَبْرَأُ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَقَوْلِهِ: «أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَقَوْلِهِ: «وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ عَرْشِه، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ».رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُمَا.

وَقَوْلِهِ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللهُ؟». قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟». قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الإيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ» حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ الصَّلاةِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ؛ فَلاَ يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلاَ عَنْ يَمِينِهِ؛ وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ

---

(١) {{ما معنىٰ (=)؟ يدلُّ علىٰ أنَّ ما بعده متعلِّقٌ بالكلام المتقدِّم ، يعني (وجب الإيمان بها) نتيجة لـ(وما وصف الرَّسول ﷺ) إلىٰ آخره، فإذا طال الكلام استحسن الإتيان بمثل هٰذا، وهو من مبتكرات العلامة محمود شاكر رَحِمَهُ اللهُ.}}

وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَوْلِهِ لَمَّا رَفَعَ أَصْحَابُهُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: «أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن لاَّ تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

... إِلَىٰ أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَن رَّبِهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ؛ فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ؛ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ؛ بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الأُمَمِ.

ثم ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ ستَّة عشر حديثًا من أحاديث الصِّفات ((أوردها بعد آياتها))؛ لأنَّ السُّنّة وحي كالقرآن، [[ومن بدائع حافظ الحكمي قوله في «اللؤلؤ المكنون ووسيلة الحصول»:

وَسُنَّةُ الرَّسُولِ وَحْيٌ ثَانِي عَلَيْهِمَا قُلْ أُطْلِقَ الْوَحْيَانِ]]

((فالأسماء والصِّفات محلُّها إلىٰ الوحي وهو القرآن والسنة وجميع الأحاديث التي ذكرها هي في «الصَّحيحين» اتِّفاقًا أو انفرادًا سوىٰ أربعة أحاديث:

الأوَّل: قوله: « عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ » رواه أحمد وفيه ضعف.

والثَّاني: قوله ﷺ في رقية المريض « رَبّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ » رواه أبو دود وإسناده ضعف.

والثَّالث: قوله ﷺ: « وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ » رواه أبو داوود والترمذي في عزو المصنِّف، وهو يريد حديث العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المعروف بحديث الأوعال، صرَّح به في «مناظرة الواسطية» و«الحموية»، وليس الحديث عند أبي داود والترمذي بهذا اللَّفظ؛ بل بلفظ آخر، واللفظ المذكور رواه ابن خزيمة والطبراني في «المعجم الكبير» من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإسناده حسن.

والرَّابع: قوله ﷺ: « أَفْضَلُ الإِيمَانِ » الحديث رواه الطبراني في المعجم الكبير وإسناده ضعيف.

والأحاديث الصَّحيحة تُغني عن الضِّعاف، وأوردها المصنِّف لأنَّها ثابتة عنده لقوله رَحِمَهُ اللَّهُ في أوَّل سَوقها: (وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ ﷺ بِهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ) إلىٰ آخر ما قال، والصَّحيح يندرج فيه الحسن عند جماعة من الحُفَّاظ ويكون بمعنىٰ الحديث الثَّابت.

بقي التَّنبيه إلىٰ أنَّ لفظ «حَاجِبٌ» في حديث عدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ » ثابتة في النُّسخة المقروءة علىٰ المصنِّف ساقطة من جميع النُّسخ التي بأيدي النَّاس، فقال قائل: إذا كان كذلك فلننظر هل هي في البُخاري أم لا؟ فرجع إلىٰ البُخاري فلم يجدها فيه، فما المصير؟ نثبتها، لأنها ثابتة في النُّسخة المقروءة علىٰ المصنِّف، وهي أيضًا ثابتة في البخاري لكن ليست في النُّسخ التي بأيدي النَّاس،

وإنَّما في رواية الكشميهني، ولذلك الذي يتسارع في نفي ألفاظ في البخاري خاصَّة عليه أن يتأنَّىٰ، فإنَّ روايات البخاري متعدِّدة ونسخه مختلفة، فهٰذه اللَّفظة ثابتة في «صحيح البخاري» في رواية الكشميهني رَحِمَهُ اللَّهُ.

واسم الإشارة (ذلك) في قول المصنِّف (وَجَبَ الإيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ) عائدٌ علىٰ قوله أوَّلا: (مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ) وأعاد التَّصريح بها آخر هٰذه الجملة من كلامه كما سيأتي.))

وفي الحديث الأوَّل وهو قوله ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا» [[الحديث]] المتَّفق عليه إثبات صفة النُّزول.

وفي الحديث الثَّاني وهو قوله ﷺ: « لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ» [[الحديث]] المتَّفق عليه إثبات صفة الفرح.

وفي الحديث الثَّالث وهو قوله ﷺ: «يَضْحَكُ اللهُ إِلَىٰ رَجُلَيْنِ» [[إلىٰ آخر الحديث]] المتَّفق عليه أيضًا إثبات صفة الضَّحك.

وفي الحديث الرَّابع وهو قوله ﷺ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ » [[إلىٰ آخر الحديث]] الذي رواه أحمد إثبات صفة العَجَب [[والنَّظر والضَّحك والعلم]]، والحديث المذكور فيه ضعف، والمشهور من لفظه أيضا «ضحك ربنا من قنوت عباده وقُرْب غِيَرِه» ويُعْني عنه قوله تعالىٰ: ﴿بل عجبتُ ويسخرون﴾ علىٰ قراءة الضَّم ففيها إثبات صفة العجب لله ﷻ، [[وبقية الصِّفات الواردة في الحديث ثابتة بأدلَّة تقدّمت]] و(الغِيَر) المذكورة في هٰذا الحديث بمعنىٰ التَّغييرات من حال إلىٰ حال.

وفي الحديث الخامس وهو قوله ﷺ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَىٰ فِيهَا» [[إلىٰ آخر الحديث]] المتَّفق عليه إثبات صفة الرِّجل والقدم.

وفي الحديث السَّادس وهو قوله ﷺ: « يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ» [[إلىٰ آخر الحديث]] المتَّفق عليه إثبات صفة الصَّوت.

وفي الحديث السَّابع وهو قوله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ» [[إلىٰ آخر الحديث]] المتَّفق عليه إثبات صفة الكلام.

وفي الأحاديث من الثَّامن إلىٰ الحادي عشر إثبات صفة العُلوِّ لله. وفي الحديث الأوَّل منها وهو قوله ﷺ في رُقية المريض: «رَبُّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ » [[إلىٰ آخر الحديث]] الذي رواه أبو داوود فيه ضعف، والأحاديث الصِّحاح تُغني عنه.

وفي [الحديث الثاني عشر] وهو قوله ﷺ: « أَفْضَلُ الإيمَانِ » الذي رواه الطبراني ففيه ضعف يسير.

في الحديثين الثَّالث عشر والرَّابع عشر إثبات صفة المعية لله ﷻ، وفي الحديث الرابع عشر إثبات صفة

الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية مع الأسماء المذكورة فيه وهو تفسير للآية التي تقدَّمت في آيات الصِّفات.

وفي الحديث الخامس عشر، وهو قوله ﷺ: « أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ » [[إلىٰ آخر الحديث]] المتَّفق عليه إثبات صفة السَّمع والقُرب، ومعنىٰ «ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ» أي اُرفقوا بها ولا تُجهدوا أنفسكم وهو بهمزة وصل مكسورة ثم راء مهملة ساكنة فياء موحدة مفتوحة.

وفي الحديث السَّادس عشر وهو قوله ﷺ: « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ » [[إلىٰ آخر الحديث]] المتَّفق عليه إثبات صفة التَّجَلِّي.

إلىٰ أمثال هٰذه الأحاديث الصَّحيحة التي يؤمن بها أهل السُّنَّة والجماعة من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، وهم بهذا وسطٌ في باب الصِّفات بين فرق الأمَّة، كما أنَّ الأمَّة هي الوسط في الأمم كما سيذكره المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ قريبًا.

((ففي هٰذه الأحاديث: اسم **الرَّبِّ** لقوله : «يَنْزِلُ رَبُّنَا» وقوله: « عَجِبَ رَبُّنَا».

ومنه اسم **الله**، لقوله ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا» وقال أيضًا: « رَبُّنَا اللهُ» وقال: « يَقُولُ اللهُ ﷻ لآدَمُ » وقال أيضًا: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ»، كيف يكون هٰذا الحديث دليلا علىٰ اسم الله؟ لأن معنىٰ «اللّٰهمَّ» يا الله بلا خلاف ذكره ابن القيم في «جلاء الأفهام».

ومنها **رب العزة** قال النبي ﷺ: «حَتَّىٰ يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ» أي صاحب العزة وهي صفة الله.

ومنها **ربّ الطيِّبين** قال ﷺ «أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ» ولا يحفظ هٰذا الاسم في نصٍّ ثابت عن النبي ﷺ والحديث المذكور هنا ضعيف.

ومنها **ربُّ السَّمٰوات السَّبع**. ومنها **ربُّ العرش العظيم**. ومنها **ربُّ كل شيء**. ومنها **فالق الحبِّ والنوىٰ**، ومنها **منزِّل التَّوراة والإنجيل والقرآن**، وكلُّها في حديث واحد وهو « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» إلىٰ تمام الحديث، وهٰذه الأسماء جميعا من الأسماء الإلهية المضافة.

ومن الأسماء أيضا: **الأوَّل والآخر والظاهر والباطن**، وكلها جاءت في حديث واحد وهو قوله ﷺ: «أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ » إلىٰ تمام الحديث.

ومنها: اسما **السَّميع والقريب**، قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا» ومعنىٰ قوله ﷺ في أوَّل الحديث المذكور «ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ» أي ارفُقُوا بها ولا تُجهدوا أنفسكم.

ومن الصِّفات الإلهية الواردة في الأحاديث المذكورة: الألوهية، والرُّبوبية، والعِزَّة، والفلق وهو الشَّق، والإنزال، والأولية، والآخرية، والظَّاهرية، والباطنية، والسَّمع، والقرب، وهٰذه الصِّفات مستفادة

علىٰ التوالي من أسماء ربِّنا ﷻ الله والرَّبّ وربّ العزَّة وفالق الحبِّ والنَّوىٰ.. إلىٰ آخر ما تقدَّم من أسمائه.

ومن الصِّفات الإلهية الواردة في الأحاديث المذكورة أيضًا **صفة النُّزول**، قال ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا».

ومنها: **صفة الفرح**، قال ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا».

ومنها: **صفة الضَّحك**، قال ﷺ: «يَضْحَكُ اللهُ إِلَىٰ رَجُلَيْنِ».

ومنها: صفات **العجب والنَّظر والضَّحك والعلم**، وكلُّها في قوله ﷺ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ» وتقدَّم البيان أنَّ الحديث فيه ضعف، وما فيه من الصِّفات ثابتة بأدلَّة ذكرها المصنِّف أيضًا، سوىٰ صفة العجب فإنَّها مفتقرة إلىٰ دليلٍ ثابت خارج ما ذكره المصنِّف، وذلك في كتاب الله وفي سنَّة النَّبي ﷺ: فأمَّا في كتاب الله ففي قوله تعالىٰ ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾ علىٰ قراءة الضَّم وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف العاشر، وفي السُّنَّة ما في الصَّحيح أنَّ النبي ﷺ قال: «**عجب ربُّكُما من صنيعكما لضيفكما اللَّيلة**».

ومنها: **صفة القدم**، قال ﷺ: «لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَىٰ فِيهَا وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّىٰ يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ عَلَيْهَا قَدَمَهُ ».

ومنها: **صفة النِّداء والصَّوت**، قال ﷺ: « يَقُولُ اللهُ ﷻ لآدَمَ عليه السلام: يَا آدَمُ » إلىٰ تمام الحديث.

ومنها: **صفة الكلام**، قال ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ».

ومنها: **صفة العلو لله**، في قوله ﷺ: «وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ» وقوله: «وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ» في أحاديث أخرىٰ.

ومنها: **صفة المعيَّة**، في قوله ﷺ: «أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ»، وقوله ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ الصَّلاةِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ».

ومنها: **صفة التَّجلِّي** قال ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ» وهٰذا الحديث يفيد تجلِّيه ﷻ .

ومنها: **نفي الصَّمم والغياب**، لقوله ﷺ : «فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا»..

إلىٰ أمثال هٰذه الأحاديث الصَّحيحة التي يؤمن بها أهل السُّنَّة والجماعة من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، وهم بهذا وسط في باب الصِّفات بين فرق الأمَّة كما أنَّ الأمَّة هي الوسط بين الأمم، كما سيذكره المصنِّفُ قريبا.

۞۞۞۞

فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ ﷻ بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ، وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبِّهَةِ.

وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ بَيْنَ الْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ.

وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالْوَعِيدِيَّةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ.

وَفِي بَابِ الإِيمَانِ والدِّينِ بَيْنَ الْحَرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ.

وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ «الرَّوافِضِ» وَ بَيْنَ «الْخَوَارِجِ».

لمَّا قرَّر المصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ أنَّ أهل السُّنّة والجماعة وسطٌ بين فِرَق الأمَّة أوضح هٰذا الأمر بذكر خمسة أصولٍ كاشفةٍ عن حقيقة وسطيَّتهم:

أوَّلُها: أسماءُ الله وصفاته، فهم وسطٌ في ((هٰذا الباب)) بين أهل التَّعطيل المُنكرين لها، وأهلِ التَّمثيل المبالغين في إثباتها بذِكر مماثلها.

وثانيها: القَدَر، المشار إليه بقول المصنِّف: (بَابِ أَفْعَالِ اللهِ) فهم وسط فيه بين القدريَّة الزَّاعمين أنَّ العبد يخلق فعله استقلالًا، وبين الجبرية الزَّاعمين أنَّ العبد مجبورٌ علىٰ فِعله لا اختيار له.

وثالثها: الوعيد بالعذاب والعِقاب، فهُم وسطٌ فيه بين المُرجئة الزَّاعمين أنَّ فاعل الكبيرة لا يدخل النَّار ولا يستحقُّ ذلك، والوعيدية الذين يُنْفِذُون الوعيد؛ أي يُمْضونه ((مطلقًا))، ويقولون: فاعل الكبيرة مخلَّدٌ في النَّار.

ورابعها: أسماء الإيمان والدِّين، فهم وسط فيه بين الحرورية وهم الخوارج والمعتزلة الذين يُخرجون صاحب الكبيرة من الإيمان، ثم يختلفون في كيفية الإخراج، فتُخرجه الخوارج الحرورية من الإيمان بالكلِّية وتقول: هو كافر، أمَّا المعتزلة فتزعم أنَّه في منزلة بين المنزلتين، فهو خارج من دائرة الإيمان بالكلية، لكنَّه لم يدخل عندهم دائرة الكفر؛ بل جعلوا له مرتبةً ولَّدوها واصطلحوا عليها سمُّوها بالمنزلة بين المنزلتين، ((فهو في منزلة بين الإيمان والكفر، فهو خارج عندهم عن دائرة الإيمان؛ لكنَّه لم يدخل دائرة الكفر؛ بل في برزخٌ بين هٰذه وتلك)). وبين المُرجئة والجهمية الذين يجعلون فاعل الكبيرة مؤمنًا كاملَ الإيمان.

وخامسها: أصحاب رسول الله ﷺ فهم وسط فيه بين الرَّافضة الذين بالغُوا في حبِّ بعض أصحاب النَّبي ﷺ من الآل وغيرهم وغَلوا فيهم، وبين الخوارج النَّاصبة الذين بالغوا في بُغض بعض أصحاب النَّبي ﷺ وسبِّهم؛ بل منهم من كفَّر بعض الصَّحابة.

۞۞۞۞

وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَن رَّسُولِ الله ﷺ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَىٰ عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد]، وَلَيْسَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لاَ تُوجِبُهُ اللُّغَةُ، وَهُوَ خِلاَفُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَخِلاَفُ مَا فَطَرَ اللهُ عَلَيْهِ الْخَلْقَ؛ بَلِ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ العَرْشِ، رَقِيبٌ عَلَىٰ خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ إِلَيْهِم... إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِن مَّعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ.

وَكُلُّ هَذَا الْكَلامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ -مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ مَعَنَا- حَقٌّ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ، لاَ يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ.

وَقَد دَّخَلَ فِي ذَلِكَ الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة:١٨٦] ، وَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُم مِن عُنقِ رَاحِلَتِهِ». وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لاَ يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّه، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.

من الإيمان بالله الإيمان بعُلوِّه ومعيَّته، فهو سُبحانه فوق عرشه عليٌّ علىٰ خلقه، وهو معهم أينما كانوا ((وهي من جملة الصِّفات الإلهية التي تقدَّم ذكرها، لكن المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ رجع إلىٰ إعادتها وإفرادها عن نظائرها لما احتفَّ بها من معارضات الابتداع العاطلة ومناقضات أهل الأهواء الباطلة من الجهميَّة ومن تبعهم من نفاة العلوِّ والاستواء))، ولا يُراد بالمعيَّة أنَّ الله ﷻ مختلطٌ بالخلْق، فهٰذا شيء لا تُوجبه اللُّغة التي خُوطبنا بها في القرآن والسُّنّة، كما أنَّه خِلاف ما أجمع عليه سلف الأمَّة، و((مَا))فطر الله ﷻ عليه الخلْقَ كافَّة، ((وكون الله فوق العرش وأنَّه سبحانه معنا حقٌّ علىٰ حقيقته، لا يحتاج إلىٰ تحريفٍ ولكن يُصان عن الظُّنون الكاذبة كما ذكر المصنِّف، ووقع تبيين شيء من الظُّنون الكاذبة في بعض النُّسخ المتأخرة (مِثْل أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: (فِي السَّمَاء)، أَنَّ السَّمَاءَ تُظِلُّهُ أَوْ تُقِلُّهُ، وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالإِيمَانِ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَهُوَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولَا، وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَىٰ الأَرْضِ؛ إِلاَّ بِإِذْنِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ) وهٰذه الزِّيادة المفسِّرة لما قبلها ليست في النُّسخ العتيقة، وإحداها مقروءة علىٰ المصنِّف، وهي تشبه كلامه، فكأنَّها أُخذت من كتابٍ آخر له، ثم أُلحقت في هٰذا الموضع، لكن هٰذا الكلام ليس في شيءٍ من كُتب أبي العباس ابن تيمية المطبوعة، ويوجد في نقول المتأخِّرين من كلام أبي العباس ابن تيمية ما هو مفقود اليوم من الكُتب التي بأيدينا كما ينقله بعض من كان في القرن الذي تلاه كالسُّيوطي أو في القرن الماضي كالألوسي

وجمال القاسمي، فإنَّ هؤلاء وقفوا علىٰ كتب لم نقف عليها اليوم؛ لأنَّها ضاعت وفنيت في العصور الأخيرة كتب عظيمة لأبي العباس ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وبقي بعضها قبل خمسين سنة أو قريبًا من ذلك موجودًا بأيدي النَّاس قد ذهب ذلك.

ومن ذلك ما حدَّثني محمَّد بن سليمان بن جراح عالم الكويت في زمانه أنَّه رأىٰ كتاب «الكبائر» لابن القيم في مجلدين في مكتبة شيخه عبد الله بن خلف الدَّحيان، وهٰذا الكتاب مفقود اليوم من الأرض قاطبة، فلا يستبعد إذا وقف علىٰ كلام لأحد هؤلاء ولاسيما أبي العباس ابن تيمية الحفيد أن يكون هو كلامه، ولا طريق إلىٰ إنكاره كما نقل عنه جمال القاسمي كلامًا في المجاز يبيِّن مذهب أبي العباس ابن تيمية والنَّفس نفسه والقول قوله؛ ولكنه ليس موجودًا في كتبه التي بأيدينا.

والمقصود أن تعلم أنَّ في هٰذا الموضوع من كتاب العقيدة الواسطية في النسخ التي بأيدي النَّاس إلحاقٌ لكلامٍ فُسِّرت به الظُّنون الكاذبة؛ لكنه ليس موجودًا في النُّسخ العتيقة، ومنها نسخة مقروءة علىٰ المصنِّف)) ولا يُراد بأنَّه (في السَّماء) أنَّ السَّماء تُقلُّه أو تظلُّه ﷻ، فهٰذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان، ودخل في ذلك إثبات أنَّه ﷻ قريبٌ من خلْقه، وقُرْبه ومعيَّته لا تنافي علوَّه ﷻ وفوقيَّته؛ بل هو كما قال شيخ الإسلام: (عَلِيٌّ فِي دُنُوِّه، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ)، والقُرْب المذكور في باب الصِّفات مختصٌّ بالمؤمنين في أصحِّ قولي أهل العلم رحمهم الله تعالىٰ. ولا يقال إنَّ قرْب الله نوعان:

أحدهما: ((قُرْب)) عام، وهٰذا للخلق جميعًا.

والثَّاني: ((قُرْب)) خاص، وهٰو ((قربه من)) المؤمنين ((بالمعيَّة والنُّصرة والتَّأييد)).

فإنَّ تصرُّف هٰذا اللَّفظ في القرآن الكريم لا يساعد علىٰ هٰذه القسمة، ((وإنَّما جاءت صفة القُرب مختصَّة بقربه ﷻ من المؤمنين تأييدًا ونصرةً لهم)) وما جاء من الآي موهمًا للقرب العامِّ فإنَّما يراد به قرب الملائكة كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾[ق]، فإنَّ المراد بالقرب هنا قرب الملائكة كما فسَّره السَّلف رحمهم الله تعالىٰ، وأمَّا باعتبار الصِّفة التي هي صفة الله ﷻ فإنَّ القرب فيها مختصٌّ بالمؤمنين، وهٰذا هو معنىٰ استخلاصه لهم واصطفائهم دون سائر الخلق، فيكون لهم منه ﷻ حظّ ليس لسائر الخلق في المعية وهو اختصاصهم بقرب الله ﷻ، فصفة القُرب مختصَّة بالمؤمنين، [[فإنَّ في القرب ملاحظة، وإنَّما يصلح للملاحظة أهلُها وهم المؤمنون]] ولا يقال: إنَّ الله قريبٌ من جميع الخلق؛ بل هٰذا القُرب منطوٍ علىٰ معنىٰ الرِّعاية والعناية والكلاءة المناسبة للمؤمنين دون غيرهم، وما في ظواهر القرآن ممَّا يُتوهَّم منه أنَّ القرب عامٌ فليس من باب الصِّفة؛ بل هو قرب ملائكة الله ﷻ. [[وهٰذا اختيار أبو العباس ابن تيمية الحفيد وتلميذه ابن القيم]].

۞۞۞۞

وَمِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ الإيمانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللهِ ﷻ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلامُ اللهِ حَقِيقَةً، لاَ كَلامَ غَيْرِهِ. وَلا يَجُوزُ إِطْلاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلاَمِ اللهِ، أَوْ عِبَارَةٌ عَنْهُ؛ بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلامَ اللهِ ﷻ حَقِيقَةً، فَإِنَّ الْكَلاَمَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَىٰ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ مُبْتَدِئًا، لاَ إِلَىٰ مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا. (١)

(وَمِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَكُتُبِهِ الإيمانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللهِ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ) أي تكلَّم به وأُضيف إليه (وَإِلَيْهِ يَعُودُ) أي بِرَفعه من الصُّدور والمصاحف [[في آخر الزَّمان]] كما ثبتت بذلك الأحاديث عن النّبي ﷺ، وانعقد عليه الإجماع، وهو كلام الله حقيقةً لا كلام غيره، ولا يقال فيه: إنَّه حكاية عن كلام الله ﷻ، ولا عبارة عنه؛ بل هو كلام الله حُروفُه ومعانيه.

[[والحكاية والعبارة ((في كلام الله)) مذهبان رديئان للكلَّابية والأشاعرة، فإنَّهم زعموا أنَّ كلام الله معنًىٰ قائم بنفسه وأنَّ القرآن وغيره من الكتب المنزلة حكاية عن هٰذا المعنىٰ كما قاله ابن كلاب، وزعمت الأشاعرة أنَّه لا يكون حكاية، وإنَّما يكون عبارة؛ لأنَّ الحكاية تحاكي المحكي وتماثله، وهٰذا لا يجوز عندهم، فلا يقولون: إنَّ القرآن حكاية عن كلام الله؛ بل هو عبارة عنه، والمعبِّر عنه هو جبريل أو محمَّد ﷺ، وعلىٰ المذهبين فالكتب المنزَّلة -ومنها القرآن- معناها من الله دون الحُروف، وهٰذا خلاف دلائل الوحيين، فالذي دلَّت عليه دلائل الوحيين أنَّ الحروف والمعاني كلَّها من الله.]]

(١) العبارة: (وَهُوَ كَلامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ، ومَعَانِيهِ؛ لَيْسَ كَلامُ اللهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي، وَلاَ الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ.) غير موجودة في النُّسخة المعتمدة.

وَقَد دَّخَلَ أيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإيمَانِ بِكُتُبِهِ وَبِرُسُلِهِ: الإيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لاَ يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ.

يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللهُ ﷻ.

مِن الإيمان بالله وبكتبه وبرسله الإيمان بأنَّ المؤمنين يرون ربَّهم يوم القيامة دون الدُّنيا عِيانًا بأبصارهم بلا خفاء ((بلا خلاف))، وقد ثبت هٰذا اللَّفظ (عِيانًا) [[مرفوعًا]] في «صحيح البخاري» فيرونه ﷻ في عرصات القيامة -أي متَّسعاتها- ثم يرونه ﷻ في الجنَّة.

والفرق بين الرُّؤيتين أنَّ الرُّؤية التي تكون في عرصات يوم القيامة هي رؤية امتحان وتعريف، وأنَّ الرُّؤية التي تكون في الجنَّة هي رؤية إنعام وتشريف، ويشترك معهم في الأولىٰ غيرهم ، وتختصُّ الثَّانية بهم، فإنَّ الرُّؤية الأولىٰ تعمُّ المؤمنين وغيرهم، علىٰ وجه الامتحان والتَّعريف، أمَّا الرُّؤية الثَّانية التي تكون في الجنة فإنَّها تختص بالمؤمنين، فما في القرآن من ذكر الحَجْب المراد به الحجب عن رؤية الإنعام والتَّشريف، أمَّا رؤية الامتحان والتَّعريف فإنَّها في أصح قولي أهل العلم واقعة للمؤمنين وغيرهم .

۞۞۞۞

وَمِنَ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ.

فَأَمَّا الْفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُون فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ للرَّجُلِ: مَن رَّبُكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَن نَّبِيُّك؟ فَيُثَبِّتُ اللهُ الذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: اللهُ رَبِّي ، وَالإِسْلاَمُ دِيني، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي. وَأَمَّا الْمُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: آه، آه؛ لَا أَدْري، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ؛ لَصعِقَ.

ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ، إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةُ الْكُبْرىٰ، فَتُعَادُ الأَرْوَاحُ إِلَىٰ الأَجْسَادِ.

وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ. فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ.

فَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَاد، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[المؤمنون].

وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ، فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِن وَّرَاءِ ظَهْرِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾[الإسراء].

وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلاَئِقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لاَ حَسَنَاتٍ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدَّدُ أَعْمَالُهُمْ، فَتُحْصَىٰ، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا يُجْزَوْنَ بِهَا.

وَفِي عَرِصَةِ الْقِيَامَةِ «الْحَوضُ» الْمَوْرُودُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَن يَّشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لاَ يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا.

وَ«الصِّرَاطُ» مَنْصُوبٌ عَلَىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالرِّيحِ، ومِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَرِكَابِ الإِبِلِ، ومِنْهُم مَن يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُم مَن يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُم مَن يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمَنْهُم مَن يُخْطَفُ وَيُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسْرَ عَلَيْهِ كَلاَلِيبُ تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِم.

فَمَنْ مَرَّ عَلَىٰ الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وُقِفُوا عَلَىٰ قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصَّ لِبَعْضِهِم مِن بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ.

وَأَوَّلُ مَن يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَوَّلُ مَن يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الأُمَمِ أُمَّتُهُ ﷺ.

وَلَه فِي الْقِيَامَةِ ثَلاثُ شَفَاعَاتٍ:

أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُوْلَىٰ: فَيَشفَعُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ؛ آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ،

وَمُوسَىٰ، وَعِيسىٰ ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ السَّلَامُ= الشَّفَاعَةَ حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَن يَدْخُلُوا الْجَنَّة.

وَهَاتَانَ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ، فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَن لاَّ يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَن يَخْرُجَ مِنْهَا.

وَيُخْرِجُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغيرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، وَيَبْقَىٰ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ.

وَأَصْنَافُ مَا تَتَضَمَّنُهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلِ ذَلِكَ= مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالآثَارَةِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ، وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنِ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ.

شرع المصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ يبيِّن هُنا الرُّكن الخامس من أركان الإيمان وهو الإيمان باليوم الآخر.

واليومُ الآخر ((علىٰ ما ذكره)) هو: كلُّ ما أخبر به النَّبي ﷺ ممَّا يكون بعد الموت. فهو اسمٌ جامعٌ لما يقع بعد الموت. وهٰذا من أحسن ما قِيل في حدِّه، وقد استحسن العلَّامة ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ هٰذا الضَّابط في «التَّنبيهات اللَّطيفة»؛ لكنْ {لمّا كان} الخبر عن اليوم الآخر غير مخصوصٍ بالسُّنة بل ثبوت أحواله يكون بالقرآن والسُّنّة معًا، فالأوْلىٰ أن يقال: إنَّ اليوم الآخر اسمٌ جامعٌ لما يكون بعد الموت.

((هنا إشكال (اسم جامع لما بعد الموت)، والموت هل يدخل في حقيقة الإيمان باليوم الآخر؟ ولماذا لم يذكروه وجعلوا اليوم الآخر لما بعد الموت؟ لماذا ما قالوا: الموت وما بعدها؟

لأنَّ الموت لا ينكرها أحد، كل المخلوقات الموجودة حتىٰ البهائم العجماء تُقرُّ بالموت، وموجود بينها، فجميع الأحياء من الكائنات موجود الموت فيها، فلم يحتج إلىٰ ذكر الإيمان به شرعًا لتحقُّقه وجودًا واتفاق النَّاس مؤمنهم وكافرهم عليه))، فيؤمن أهل السُّنَّة والجماعة (بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ) وهي سؤال الملكين العبدَ عن ربِّه ودينه ونبيِّه (((فَيُثَبِّتُ اللهُ الذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ، فَيَقُولُ الْمؤْمِنُ: رَبِّيَ اللهُ، وَالإِسْلاَمُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيِّي. وَأَمَّا الْمُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: آه، آه؛ لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ) والمشهور في لفظ الحديث (هاه، هاه) والمثبت هو الوارد في النُّسخة المقروءة علىٰ المصنِّف ووقع كذلك في بعض ألفاظ الحديث))، ويؤمنون (بِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ)، وهو ما يجريه ﷻ علىٰ العبد من عذابٍ أو نعيمٍ في قبره، ويؤمنون بيوم القيامة إذا أُعيدت الأرواح إلىٰ الأجساد وقام (النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا)؛ أي غير مختونين، وحينئذ يُنصب الميزان وهو واحدٌ في أصحِّ الأقوال؛ ولكنَّه جُمِع {في بعض الآي} باعتبار ما يُوزن فيه فإنَّه لمَّا تعدَّد الموزون جُمعت آلته تعظيمًا لها [[فقيل: الموازين]]، وتوزن فيه الأعمال وصحائفها وعمَّالها؛ فالوزن واقعٌ علىٰ العبد وعمله وصحيفة عمله في

أصحّ أقوال أهل العلم.

[[وفي ذلك أنشدتُ:

الْوَزْنُ فِي أَصَحِّ قَوْلٍ لِلْعَمَل وَعَامِلٍ مَعْ صُحْفِهِ نِلْتَ الأَمَل]]

(وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ) فيأخذ المؤمن كتابه بيمينه ويأخذ الكافرُ كتابَه بشماله وراء ظهره، (وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلائِقَ)، **والحساب** في الشَّرع هو عدُّ أعمال العَبْد يوم القيامة، وله درجتان:

إحداهما: الحساب اليَسير وفيه تُعرَض أعمال العبد عليه ويقرَّر بها.

والآخر: الحساب العسير، وفيه يُناقَش العبد وتُستقصىٰ عليه أعماله.

و(الْكُفَّارُ؛ فَلا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لاَ حَسَنَاتٍ لَهُمْ)، فقد جُوزوا بحسناتهم في الدُّنيا، ولكنَّهم يحاسبون بالتَّقرير علىٰ أعمالهم والتَّبكيت عليها والمجازاة بها.

(وَفِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ) أي متَّسعاتها (الْحَوضُ الْمَوْرُودُ) لرسولنا ﷺ، ولكلِّ نبيٍّ حوضٌ؛ ولكنَّ حوض نبيِّنا ﷺ هو أعظمُها وصْفًا وأكملُها حالًا.

ويؤمن أهل السُّنة بالصِّراط؛ وهو جسرٌ منصوبٌ علىٰ متن جهنَّم -أي ظهرها- [[يوصل إلىٰ الجنَّة، وهٰذا معنىٰ قول المصنِّف : (وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ)]] ((أي منصوبٌ علىٰ النَّار يوصل إلىٰ الجنَّة)) يمرُّ عليه المؤمنون فقط دون غيرهم علىٰ الصَّحيح [[من أقوال أهل السُّنّة]]، ((فالأحاديث ظاهرة في أنَّ المرور علىٰ الصِّراط مختصٌّ بالمؤمنين ومن أصحِّها حديث أبي سعيد الخُدري في «الصَّحيحين»، واللَّفظ لمسلم وفيه قوله ﷺ: «فيمرُّ المؤمنون»، فالحديثُ قاطعٌ أنَّ المرور مختصٌّ بالمؤمنين فقط))، ومن قال بعمومه فلا دليل له؛ بل الأحاديث ظاهرة بأنَّ مرور الصِّراط مختصٌّ بالمؤمنين، وأمَّا الكفَّار فإنَّهم يُصرَفون من العَرْض الأوَّل، فإنَّ الله ﷻ إذا تجَّلىٰ في عرصات يوم القيامة لخلقه امتحانًا لهم وتعريفًا به أمر أن يتَّبع كلُّ من يعبد غير الله معبودَه، فيتَّبع أهلُ النَّار معبوداتِهم فيقعون في نار جهنَّم، ويبقىٰ المؤمنون ومعهم المنافقون؛ لأنَّهم منهم باعتبار الصُّورة الظَّاهرة في الحياة الدُّنيا، ثم يأمرهم الله ﷻ أن يقعوا له ساجدين فيسجد المؤمنون، وأمَّا المنافقون فإنَّ ظهورهم تكون طبقًا واحدًا فلا يستطيعون أن يسجدوا لله، ثم تُلقىٰ عليهم الظُّلمة ويجعل الله ﷻ للمؤمنين أنوارًا يهتدون بها إلىٰ الصِّراط المستقيم علىٰ متن جهنَّم، وأمَّا المنافقون فلا نور لهم؛ بل هم باقون في ظلمتهم، يقولون للمؤمنين: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾[الحديد:١٣]، فيتيهون عن الصِّراط ويتردُّون طرحًا في نار جهنَّم، فلا يمرُّ علىٰ الصِّراط إلَّا أهلُ الإيمان، والذين تخطفهم كلاليب جهنَّم من المارِّين علىٰ الصِّراط هم عُصَاة المؤمنين الذين يستحقُّون دخول النَّار فيدخلونها، ثم يخرجون منها.

ويمرُّ المؤمنون علىٰ الصِّراط علىٰ قدْر أعمالهم، فمنهم من يمرُّ كلمح البصر، ومنهم من يمرُّ كالبرق، ومن منهم من يمرُّ كالرِّيح، ومنهم من يمرُّ كالفرس الجواد، ومنهم من يمرُّ كركاب الإبل أي الرَّواحل، فإنَّ الرِّكاب اسم للرَّواحل التي تُتَّخذ للرُّكوب من النُّوق، فمن مرَّ علىٰ الصِّراط دخل الجنَّة، ولم يسبق دخوله عذابٌ بخلاف من أخذته كلاليب جهنم فإنَّه يدخل النَّار ثم يخرج منها ويُدخَل الجنَّة ((والكلاليب جمع كلَّاب، وكَلُّوب، وهو حديدة معوجَّة الرَّأس ذات شُعب؛ أي أجزاء متفرِّقة في رأسها)).

ثم يُوقف الذين عبروا الصِّراط علىٰ قنطرة بين الجنَّة والنَّار، ويقتصُّ لبعضهم من بعض، فإذا نُقُّوا وهُذِّبُوا أذن لهم في دخول الجنَّة.

وأوَّل من يستفتح باب الجنَّة هو محمَّد ﷺ.

وله في القيامة ثلاث شفاعات:

الشَّفاعة الأولىٰ: شفاعته ﷺ في أهل الموقف من الخلق أن يُقضىٰ بينهم، وهي الشَّفاعة العظمىٰ.

والشَّفاعة الثَّانية: شفاعته ﷺ لأهل الجنَّة أن يدخلوها.

وهاتان الشَّفاعتان خاصتان به، لا مشارك له فيهما.

والشَّفاعة الثَّالثة: شفاعته ﷺ فيمن استحقَّ النَّار، وهٰذه الشَّفاعة لا تختصُّ به ﷺ؛ بل هي له ولسائر النَّبيِّين والصِّدِّيقين وغيرهم من الشُّفعاء، وهي تتناول كما ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: من استحقَّ النَّار أن لا يدخلها ومن دخلها أن يخرج منها، والصَّحيح أنَّ هٰذا النَّوع مختصٌّ بمن دخل النَّار أن يَخرج منها، وأمَّا الشَّفاعة فيمن استحقَّ النَّار أن لا يدخلها، فالتَّحقيق عدم ثبوتها لخلوِّ القَول بها عن دليل صحيحٍ صريحٍ كما اختاره العلامة ابن القيم ((باسطًا أدلَّته)) خلافًا لشيخه أبي العباس ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في هٰذا الموضع، فتصير الشَّفاعة الثَّالثة هي شفاعته ﷺ ((هو ومن كان من الشُّفعاء)) لمن دخل النَّار أن يُخرج منها، ولا تقل: لمن استحقَّ النَّار؛ لأنَّه يكون لفظًا عامًّا يشمل من استحقَّ النَّار أن لا يدخلها، ومن دخلها أن يخرج منها، والذي دلَّ عليه الدَّليل هو اختصاص هٰذه الشَّفاعة بمن دخل النار أن يخرج منها فقط.

(وَيُخْرِجُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغيرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، وَيَبْقَىٰ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ) [[يعني زيادة]] (عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا) –يعني زيادة– (فَيُنْشِئُ اللهُ) ﷻ للجنَّة (أَقْوَامًا فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ).

وأحوال الدَّار الآخرة فوق هٰذا القدر؛ لكن هٰذه مُهمَّاتها، وتفاصيل مفرداتها موجودة في الكتاب والسُّنة لمن التمسها، {وقد صنف أهل العلم رحمهم تعالىٰ فيها تصانيف كثيرة، ومن أنفعها تأليف أبي عبد الله ابن القيم في دار النَّعيم المسمَّىٰ بـ«حادي الأرواح» وتأليف تلميذه أبو الفرج ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في «التعريف بدار البوار»، هما كتابان نافعان يشتملان علىٰ جمل من هٰذا الباب مع تحقيق وافٍ}

ومن أراد أن يحقِّق أحوالها فليُقبل علىٰ القرآن وصحيح المنقول عن النَّبي ﷺ، أمَّا الشَّغف بالأحاديث الضَّعيفات والموضوعات والحكايات السَّخيفات الباردات في ذكر أحوال الآخرة، هٰذا وإن تُوهِّم أنَّه في الظَّاهر مشوِّق للجنَّة ويخوِّف من النَّار فلا خير فيه، إذ الخير كلَّ الخير والشِّفاء كلَّ الشِّفاء مردود إلىٰ الكتاب والسُّنّة .

وَتُؤْمِنُ «الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ» بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَىٰ دَرَجَتَينِ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ.

فَالدَّرَجَةُ الأُولَىٰ: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَلِمَ مَا الْخَلْقُ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلاً وَأَبَدًا، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِم مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالأَرْزَاقِ وَالآجَالِ، ثُمَّ كَتَبَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ.

فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُن لِّيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُن لِّيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الأَقْلَامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ؛ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[الحج: ٧٠]، وَقَالَ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾[الحديد]، وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ ﷻ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً:

فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ.

فَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، بِكَتْبِ: رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ.. وَنَحْوَ ذَلِكَ.

فَهَذَا الْقَدَرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، وَمُنْكِرُهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ.

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ: الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلاَ سُكُونٍ إِلاَّ بِمَشِيئَةِ اللهِ ﷻ، لاَ يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لاَ يُرِيدُ، وَأَنَّهُ ﷻ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي السَّمٰوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ إِلاَّ اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ.

وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَىٰ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلاَ يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلاَ يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَلاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ.

وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِم.

وَالْعَبْدُ هُوَ: الْمُؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ، وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ. وِلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ وَلَهُمْ إِرَادَة، وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَخالق قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ؛ كَمَا قَالَ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[التكوير].

وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَيَغْلُو فِيهَا قَومٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ، حَتَّىٰ سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا.

ذكر المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ في هٰذه الجملة الرُّكن السَّادس من أركان الإيمان وهو الإيمان بالقدَر، وأنَّه يأتي علىٰ درجتين:

الأولىٰ: الدَّرجة السَّابقة لوقوع المقدور، وتتضمَّن علم الله بالمقادير، وكتابته لها.

والثَّانية: الدَّرجة المصاحبة لوقوع المقدور، وتتضمَّن خلق الله للمقدور ومشيئته إيَّاه.

ومراتب القدر الأربع: العلم والكتابة والمشيئة والخلق [[وهي]] منتظمة في هاتين الدَّرجتين اللَّتين ذُكرتهما.

وحقيقة القدر [[شرعًا]] أنَّه عِلْم الله بالكائنات -أي الوقائع- وكتابتُه لها، ومشيئته وخلقه إيَّاها.

[[وقولنا الكائنات: أي الوقائع والحوادث]] هٰذا هو حدُّه الجامع لمراتبه الأربع بدرجتيه الاثنتين.

وممَّا يندرج في هٰذا الباب الإيمان بأنَّ للعبد مشيئة وقدرة وهبهما الله ﷻ له؛ لكنَّهما تَابعتان لمشيئة الله وقدرته ((غير مستقلة عنها)).

((والدَّرجة الأولىٰ من درجتي القدر قد كان ينكرها غلاة القدريَّة قديمًا، ومُنكرها اليوم قليل؛ بل في زماننا هم معدومون)).

والدَّرجة الثَّانية من درجتي القدر يُنكرها عامَّة القدريَّة الذين يزعمون أنَّ العبد يخلق فِعله فيقدِّرُه ويشاؤه ولا يعلمه الله إلَّا بعد وقوعه [[تعالىٰ الله عن قولهم علوًّا كبيرا]]، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات -المثبتة للقدر وهم الجبرية- حتىٰ سلبوا العبد قدرته ومشيئته وجعلوه مجبورًا علىٰ أفعاله لا قدرة له علىٰ شيءٍ منها، وعطَّلوا أفعال الله وأحكامه عن حِكَمها ومصالحها كما ذكر أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، ((فجعلوا العبد بمنزلة الآلة في يد محرِّكها فما يجري عليه من الأفعال من الله ﷻ تقديرًا خالٍ من الحكمة والمصلحة عند هؤلاء، ونشأ من هٰذا الأصل الفاسد كثير من المسائل المذكورة في علم أصول الفقه خاصة، وبه تعلم تأثُّر العلوم بعضها ببعض وأنه لا يوجد في العلوم الإسلامية علم مجتزأ مقطوع عن لداته لا صلة له بها، بل العلوم بعضها موصول ببعض ومبني عليه سواء كان البناء صحيحًا أو فاسدًا، قال الزَّبيدي في «ألفية السَّند»:

فَإِنَّ أَنْوَاعَ الْعُلُومِ تَخْتَلِطْ وَبَعْضُهَا بِشَرْطٍ بَعْضٍ مُرْتَبِطْ

فمن أمعن في فهم عقائد أهل السُّنَّة والجماعة تبيَّن له الخطأ في جملة من مسائل العلوم في أبواب علوم الآلة كالأصول والمصطلح والنَّحو لفساد أصولٍ نشأت من عقائد المخالفين، ثمَّ سرت في العلوم الآلية، وكرع منها من كرع وشربها حتىٰ صارت مشهورة في علوم الآلة)).

۞۞۞۞

وَمِنْ أُصُولِ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ. وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ؛ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ؛ بَلِ الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي آيَةِ القِصَاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[البقرة:١٧٨]، وَقَالَ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات].

وَلاَ يَسْلُبُونَ «الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ» اسم الإيمَانَ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلاَ يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّار؛ كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَزِلَةُ.

بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ؛ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾[النساء:٩٢]، وَقَدْ لاَ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ الْمُطْلَقِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[الأنفال:٢]، وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ». وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلاَ يُعْطَىٰ الاسْمَ الْمُطْلَقَ، وَلاَ يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ.

{{تقدَّم أنَّ}} الإيمان في الشَّرع له معنيان اثنان:

أحدُهما: عامٌّ، وهو الدِّين الذي بُعث به محمَّد ﷺ، وحقيقته: التَّصديق الجازم بالله باطنًا وظاهرًا تعبُّدًا له بالشَّرع المنزَّل علىٰ محمَّد ﷺ علىٰ مقام المشاهدة أو المراقبة.

والآخر: خاص، وهو الاعتقادات الباطنة، وهٰذا هو المعنىٰ المقصود إذا قُرن الإيمان بالإسلام والإحسان.

والإيمان بمعناه العام منقسمٌ علىٰ القلب واللِّسان والجوارح، وإلىٰ ذلك يُشار بقول أهل السُّنة رحمهم الله: الإيمان قول وعمل، فالقول قول القلب واللِّسان والعمل عمل القلب واللِّسان [[والجوارح]]:

وقول القلب هو [[تصديقه و]] إقراره [[ومعرفته]].

وعمل القلب هو حركاته فيما يريده الله ﷻ من المحبوبات [[ومراضيه]]، فالاعتقاد مثلًا بأنَّ الله ﷻ واحد أحد هٰذا من قول القلب، والتَّوكل علىٰ الله عمل من أعمال القلب؛ لأنَّ للقلب فيه حركة اقتضت التَّوجُّه القلبي إلىٰ الله بتفويض الأمر إليه.

وقول اللِّسان هو نطقه [[بالشَّهادتين.

وعمله: ذكر الله ودعاؤه]] ((هٰذا الموضع من مشكلات الواسطية لأنَّ بعض الشُّراح قال: المعروف قول اللِّسان ليس هناك عمل، قال: لأنَّ النُّطق بالشَّهادتين هو قول، وغيره يكون قولا، ولكنَّ الصَّحيح أن

للِّسان قولا وعملا ، أمَّا قوله فنطقه بالشهادتين، وأمَّا عمله فما لا يؤدَّىٰ إلَّا به كتلاوة القرآن والأذكار، ذكر هٰذا المعنىٰ أبو العباس ابن تيمية الحفيد والعلَّامة حافظ الحكمي رحمهما الله وهو المحقَّق المنصور بالدَّليل)).

وعمل الجوارح هو الفعل والترك ((الواقع بهما)).

والإيمان يزيد وينقص، وزيادته أثر الطَّاعة، ونقصه أثر معصية، ومن فعل كبيرة فهو فاسق ليس بمؤمن كامل الإيمان ولا بكافر؛ بل هو مؤمن ناقصُ الإيمان أو مؤمن ((بإيمانه)) فاسقٌ بكبيرته، فلا يُعطىٰ الاسم المطلق المؤمن ولا يسلب مطلق الاسم فيقال في حقِّه كافر؛ بل يكون مؤمنًا بما عنده من الإيمان فاسقًا بما أصاب من كبيرة.

والأخوَّة الإيمانية ثابتة مع المعاصي لا تزول ولا تنتفي، لا كما تزعمه الخوارج والمكفِّرة بالكبيرة، الحاكمة بخلود صاحب الكبيرة في النَّار، ولا كما تزعمه المعتزلة الذين يسلبون الفاسق اسم الإيمان ويُخرجونه من الإيمان بالكلِّية؛ لكنَّهم يجعلونه في منزلة بين المنزلتين في الدُّنيا ويحكمون عليه في الآخرة بـ{{الخلود في}}النَّار.

۞۞۞۞

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ سَلامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر]، وَطَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ». وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ «الْكِتَابُ» وَ «السُّنَّةُ» وَ«الإِجْمَاعُ» مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ.

فَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ -وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ- وَقَاتَلَ عَلَىٰ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ. وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَىٰ الأَنْصَارِ.

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ -وَكَانُوا ثَلاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ-: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُم، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ». وَبِأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، كَالْعَشَرَةِ، وَكَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِم مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ. وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَتِ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ.

مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ -بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَىٰ تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ- أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ: وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا.

لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَىٰ تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ.

وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ -مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ- لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ. لَكِنَّ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا مَسْأَلَةُ الْخِلافَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ. وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلاءِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ.

وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي».

وَقَدْ قَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ -وَقَدِ شَكَا إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ- فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحِبُّوكُمْ؛ لله وَلِقَرَابَتِي».

وَقَالَ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ: خُصُوصًا خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَىٰ أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ. وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ، الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَىٰ النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ».

وَيَتَبَرَّءُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ. وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ

أَوْ عَمَلٍ.

وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمَنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَعَامَّةُ الصَّحِيحِ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ.

وَهُم مَّعَ ذَلِكَ لاَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ، وَلَهُم مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ -إِنْ صَدَرَ-، حَتَّىٰ إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُم مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لاَ يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُم مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّن بَعْدَهُمْ.

ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ عَنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَىٰ بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَو غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلاَءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ الأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَؤُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مغْفُورٌ.

ثُمَّ الْقَدْرُ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَمَن نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَعَدْلٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيْهِم مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ؛ لَا كَانَ وَلا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

من أصول أهل السُّنّة سلامةُ قلوبهم وألسنتُهم لأصحاب رسول الله ﷺ ممتثلين ما أمرهم الله به، فيقبلون ما في الكتاب والسُّنّة من فضائل الصَّحابة ومراتبِهم، ويفضِّلون من أنفق قبل الفتح -وهو صلح الحُديبية- وقاتل علىٰ من أنفق من بعد وقاتل، ويقدِّمون المهاجرين علىٰ الأنصار، ويؤمنون بفضيلة أهل بدر وأنَّ الله قال لهم: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُم، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» ((متَّفقٌ عليه من حديث عليّ)) وأنَّ الله لا يُدخل النَّار أحدًا بايع تحت الشَّجرة؛ وهم أهل بيعة الرِّضوان عامَ الحُديبية، ويشهدون بالجنَّة لمن شهد له النَّبي ﷺ كالعشرة المبشَّرين بها وهم الخلفاء الأربعة، وسعد بن أبي وقَّاص، والزُّبير بن العوَّام، وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة عامر بن الجرَّاح، وعبد الرَّحمٰن بن عوف، وسعيد بن زيد رضي الله عنهم، وإنَّما خُصَّ هؤلاء باسم العشرة المبشَّرين بالجنَّة وإن كان غيرهم من أصحاب النبي ﷺ بُشِّر بها؛ لأنَّهم جُمعوا في حديث واحد، فلما جُمعوا في حديث واحد بالبشارة بالجنَّة سمُّوا العشرة المبشَّرين بالجنَّة.

ويعتقد أهل السُّنّة ترتيب الخلفاء الأربعة بالفضل كترتيبهم في الخلافة فأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ رضي الله عنهم، وفي المفاضلة بين عثمانَ وعليّ خلاف قديم، ثم استقرَّ الأمر عند أهل السُّنّة علىٰ تقديم عثمان علىٰ علي رضي الله عنهما، وإن كانت هٰذه المسألة وهي المفاضلة بين الشَّيخين عثمان وعليّ ليست من الأصول التي يضلَّل فيها المخالف عند ((جمهور)) أهل السُّنّة؛ ولكن المسألة التي يُضَلَّل فيها هي

ترتيبهم في الخلافة؛ فيؤمنون بأنَّ الخليفة بعد رسول الله ﷺ هو: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ رضي الله عنهم، ومن طعن في خلافة أحدٍ من هؤلاء فهو أضلّ من حمار أهله.

ويحبُّ أهلُ السُّنَّةِ أهلَ بيت رسول الله ﷺ ويتولَّونهم، وأهلُ بيت النَّبي ﷺ هم في أصح الأقوال: بنو هاشم وزوجاته ﷺ اللَّاتي مات عنهنَّ، وهؤلاء همُ الذين حُرِّمت عليهم الزَّكاة، وإلىٰ ذلك أشرتُ بقولي:

آلُ النَّبِـيِّ هُـمُ الَّـذِينَ حُرِّمَـتْ ... عَلَـيْهُمُ زَكَاتُنَـا وَحَصْـرُهُمْ ثَبَـتْ

[[آلُ النَّبِـيِّ هُـمُ الَّـذِينَ تَحْـرُمُ ... عَلَيْهُمُ الزَّكَاةَ وَالْحَصْرَ اعْلَمُوا]]

فِـي هَاشِـم وَمَـا لَـهُ مِـنَ الْوَلَـدْ ... وَكُـلِّ زَوْج لِلـنَّبِيِّ لَـمْ تُـرَدْ

[[وَمَـذْهَبُ الأَصْـحَابِ أَنَّ الآلَ ... أَتْـبَاعُ دِينِـهِ فَـعِ المَـقَالَ

(والأصحاب) هنا هم الحنابلة، فمذهبهم أن آل النبي هم أتباع دينه]]

ولأجل ما كان للأزواج من مقام خاصٍّ عند النَّبي ﷺ أفردهم المصنِّفُ بالذِّكر فقال: (وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ) إلىٰ آخره، ويتبرَّؤون من طريقة الرَّوافض والنَّواصب، فإنَّ الرَّوافض يُبغضون الصَّحابة ويسبُّونهم ويعظِّمون بعض آل البيت، وطريقة النَّواصب أذيَّتهم لأهل بيت رسول الله بقولٍ أو عمل كما أنَّ في النَّاصبة من يسبُّ غيرةً أصحاب النَّبي ﷺ بل يكفِّرونهم كما سلف.

وما شجر بين الصَّحابة رضي الله عنهم من الاختلاف وما جرىٰ في زمانهم من فتنة فإنَّ أهل السُّنّة والجماعة يمسكون عنه ولا يسعون في بثِّه وإشاعته؛ بل السَّاعي في ذلك ساعٍ في طريق ضلالة وهو زائغٌ عن هدي أهل السُّنّة والجماعة، {{وهم بمنزلة العيون شفاؤها في ترك [نساجها] كما قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ}}، ويقول أهل السُّنّة والجماعة: إنَّ الآثار المرويَّة في مساوي أصحاب النَّبي ﷺ ثلاثة أقسام:

القسم الأوَّل: ما هو كذِبٌ في نفسه، فلا يثبت البتّة.

والقسم الثَّاني: ما زِيد فيه ونقص وغُيِّر عن وجهه.

وهٰذان النَّوعان هما أكثر الفاشي في كتب التَّواريخ والأخبار، فإنّ الغالب في كُتب التَّواريخ والأخبار هو ذِكر الكذب أو المحوَّل عن وجهه من أخباره، وبذلك انحطَّت رُتبة كُتب التَّاريخ والأخبار عن رتبة كتب السُّنن والآثار بنقل خلاف الصَّحابة وما شجر بينهم، فالمعوَّل {عليه} في نقل ما وقع بينهم {من خلاف} هو كتب السُّنن والآثار لا كتب التَّواريخ والأخبار، {فمن يحكي خلاف الصَّحابة نقلا من تاريخ ابن جرير الطبري أو غيره من الكتب المصنَّفة في التَّاريخ فقد هجر طريقة أهل السُّنَّة والجماعة؛ لأنَّ الثِّقة في كتب الأخبار غير معمول بها بخلاف كتب السُّنن والآثار فإنَّها منسوجة علىٰ شرطٍ قوّي هو شرط أهل الحديث في قَبول الرِّجال}.

والقسم الثَّالث :صحيحٌ عنهم رضي الله عنهم وأكثره هو الذي يروىٰ في كتب السُّنن والآثار، لا ((كتب))

التَّواريخ والأخبار، وهم فيما صحَّ من ذلك معذورون إمَّا مجتهدون مصيبون وإمَّا مجتهدون مخطئون، فهم بين أجر وأجرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولا يعتقد أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ أحدًا من الصَّحابة معصوم من الذُّنوب؛ بل الذُّنوب تجري منهم وتقع منهم وتجوز عليهم في الجملة؛ لكن لهم من موجبات المغفرة ما ليس لغيرهم، وإذا صدر عن أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتىٰ بحسنات ماحية أو غفر له بفضل سابقته أو صحبته للنَّبي ﷺ أو بشفاعة النَّبي ﷺ له ((الذين هم أولىٰ النَّاس بشفاعته))، أو ابتلي ببلاء في الدُّنيا كُفِّر به عنه، وإذا كان هٰذا في الذُّنوب المحقّقة المجزوم بها، فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين.

ثُمّ القدْر الذي يُنكر من فعل بعضهم هو قليل ونزر يسير في جنب محاسنهم وفضائلهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، ومن نظر في أخبار الصَّحابة وما كانوا عليه واطَّلع علىٰ سيرهم بعلْم وبصيرة علِم أنَّ أصحاب النَّبي ﷺ هم أفضل القرون بعد الأنبياء والرُّسل، فلم يأت بعد الأنبياء والرُّسل أحدٌ من بني آدم أفضل من صحابة رسول الله ﷺ {ومن هنا شرُفت الآثار المنقولة عنهم في باب الأحكام الخبرية أو الطَّلبية لشرف منزلتهم، ومن شريف العلم ومكانته عناية المقتبس له بالآثار المنقولة عن الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وعُظِّم ما عُظِّم من الكتب كمصنف ابن أبي شيبة وعبد الرَّزَّاق لامتلائه بالآثار المنقولة عنهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فائدة جليلة: مرَّ علينا في باب من جحد شيئًا من أسماء الله وصفاته في كتاب التَّوحيد أن رجلا انتفض لما سمع حديثًا في الصِّفات فقال ابن عباس الحديث، هٰذا من الآثار القديمة القليلة التي ذكر فيها تسمية (الصِّفات) تسمية أن من المضافات إلىٰ الله (صفات) لأنَّه كم من حديث في التَّصريح بالصِّفات؟ حديث أبي هريرة كان يقول: إنها صفة الرَّحمٰن، قال ابن حزم: ويرد عليه شيئان –ملخص كلامه– أحدهما أنَّه قول للرجل وليس قول للنبي ﷺ ويجاب عنه أنَّ النَّبي ﷺ أقره. وقال ابن حزم: هٰذه اللَّفظة ضعيفة لا تصحُّ، ويجاب عنه: بأنَّ البخاري صحَّحها وأوردها في الصَّحيح؛ لكن هٰذا الأثر لا قبل لابن حزم برده حدثنا معمر عن عبد الله بن طاووس عن طاووس عن ابن عباس هٰذا إسناد في «الصَّحيحين» وفيه تسمية أنَّ من المضاف إلىٰ الله ﷻ صفة، هٰذا مثال في الآثار.

مثال آخر: اسم الأعز، تحفظون فيه حديثًا عن النبي ﷺ، ثبت عن ابن مسعود وعبد الله بن الزُّبير في السَّعي: ربِّ اغفر وارحم وأنت الأعز الأكرم.

وقس علىٰ هٰذا في مسائل في المعتقد أو مسائل في الفقه، فلا بد أن يعتني طالب العلم بآثار الصَّحابة. }

۞۞۞۞

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتَ الأَوْلِيَاءِ وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَىٰ أَيْدِيهِم مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ، كَالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

من أصول أهل السُّنَّة والجماعة التَّصديق بكراماتِ الأولياء، والكراماتُ جمْعُ كرامة، وهي الأمر الخارق للعادة الذي يُظهِره الله علىٰ يدِ وليٍّ من أوليائه إكرامًا له، والمرادُ بالعادة عادة أهل زمانه، لا باعتبار الخلْق جميعًا.

((وهٰذا الحد هو المشهور لدىٰ المصنِّفين في هٰذا الباب، وهو مبني علىٰ كلام المعتزلة في الخوارق، وما نشأ عنه من القول في المعجزة والسحر، ولفظ (الكرامة) لفظ اصطلاحي لم يرد في الكتاب ولا في السنة، والتحقيق أنَّ الموافق للوضع الشرعي واللغوي لهٰذا المعنىٰ أن يقال في حدها: هي آية عظيمة تدل علىٰ صلاح العبد ولا تقترن بدعوىٰ النُّبوة)).

والأولياءُ جمع ولي، وهو شرعًا: كل مؤمن تقيّ. وإلىٰ ذلك أشار ابن أبي العزّ في «شرح الطَّحاوية» فأحسن إذ يقول: والوليُّ هو من والىٰ اللهَ بموافقة محبوباته والتَّقرُّب إليه بمرضاته.

أمَّا الوليّ في اصطلاح علماء العقيدة فهو: كلُّ مؤمنٍ تقيٍّ غير نبيٍّ. فلابدَّ من زيادة هٰذا القيد (غير نبيٍّ) ليوافق تصرُّف أهل هٰذا العلم فيه فإنَّهم يخصُّون اسم الأولياء بمن عدا الأنبياء [[من المؤمنين المتَّقين]] ، وإن كان اسم الوليّ في القرآن والسنة واقعًا علىٰ النَّبيّ وغيره.

وكرامات الأولياء نوعان أشار إليهما المصنِّف:

الأوَّل: كرامةٌ تتعلَّق بـ[[أنواع]] العلوم والمكاشفات.

والثَّاني: كرامةٌ تتعلَّق بـ[[أنواع]] القدرة والتَّأثيرات.

((وأهل السُّنّة يثبتون للأولياء الكرامات وينزِّهونهم عمَّا يُدعىٰ زورًا من الخرافات)).

۞۞۞۞

ثُمَّ مِنْ طَرِيقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَيثُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ».

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلامِ كَلامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيُؤْثِرُونَ كَلامَ اللهِ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنْ كَلامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ.

وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ؛ لأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الاِجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ.

وَالإِجْمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ.

وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الأُصُولِ الثَّلاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ.

وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلافُ، وَانْتَشَرَتْ فِي الأُمَّةِ.

((ذكر المصنِّف في هٰذه الجملة طريق أهل السُّنَّة الكلي في أخذ دينهم وأن)) من طريقة أهل السُّنّة الاتباعُ لرسول الله ﷺ ولسبيل السَّابقين من المهاجرين والأنصار، والتَّمسك بالسُّنَّة النَّبوية {والأمر العتيق} وسنَّة الخلفاء الرَّاشدين المهديِّين ومجانبة محدثات الأمور؛ لأنَّ كلَّ محدثة بدعة وكلَّ بدعة ضلالة.

ويَعلم أهلُ السُّنَّة أنَّ أصدق الكلام كلام الله، وأنَّ خير الهدي هدي محمَّد ﷺ، ولأجل هٰذا آثروا كلام الله علىٰ كلام غيره، وقدَّموا هدي رسول الله ﷺ علىٰ هدي غيره، فسُمُّوا أهل الكتاب والسُّنّة لأخذهم بهذين الأصلين، وسمُّوا أهلَ الجماعة؛ لأنَّ الجماعة هي الاجتماع وضدُّها الفرقة، وهم يزنون بالقرآن والسُّنّة والإجماع جميع ما عليه النَّاس من أقوال وأعمال، فلا يزِنون الخلق بالصُّور والأموال، وإنَّما يزنون أحوال الخلق بالكتاب والسُّنّة والإجماع، وهٰذا أمر لا يتمكن منه العبد إلَّا بتخلية نفسه من ابتغاء الأغراض واكتساب الأعواض، فإذا طهُرت نفس العبد من المطالبة والمغالبة والمعاتبة وزن الخلقَ بما أمره الله ﷻ به.

والنِّسبة إلىٰ السُّنّة متفاوتة في الخلق لاختلاف حظوظهم في التزامهم بها، فجمٌّ غفير من النَّاس ينتسبون إلىٰ السُّنّة؛ لكن صدق اسمها عليهم يكون بقدر امتثالهم لها [[والخلق فيها مستقل ومستكثر.]]

ومن جملة الامتثال بالسُّنّة ولاسيّما في هٰذه الأعصار أن يكون ميزانك في الحكم علىٰ أحوال الخلق هو الكتاب والسُّنّة والإجماع، فلا تحكمنَّ علىٰ أحد بما خرج عن هٰذا الميزان، ومن وفَّقه الله ﷻ إلىٰ إعماله سعِد وأسعد، ومن تنكَّب هٰذا الطريق فقد تنكَّب طريقة أهل السُّنّة والجماعة، ولا يستطيع الصَّبر علىٰ ذلك بإقامة العدل إلَّا أولي العُصبة من الرِّجال الذين يهيئ الله لهم علما صحيحًا وعملا صالحًا

وقصدًا سليمًا وإيمانًا راسخًا فيُمضون إعمال هٰذا الميزان علىٰ وجهه دون تغيير ولا تبديل {{وقد حدثني الشيخ عبد القادر كرامة الله البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ شيخه موسىٰ جار الله القازاني مفتي قازان رَحِمَهُ اللَّهُ سئل عن تفسير جزء عمّ للعلامة سلطان المعصومي رَحِمَهُ اللَّهُ، فأثنىٰ عليه خيرًا، فقيل له: إنه عرّض بكفرك، فقال: كلُّ ما فيها حسن إلا هٰذا الموضع. هٰذا من يستطيعه؟! هٰذا الذي يكون بالفعل قد وزن الخلق بالكتاب والسُّنّة والإجماع ولم ينظر إلىٰ حظوظ نفسه}}، {فإنَّ الأهواء والآراء تكتسح بهجمتها القلوب فتحْرفها عن الصِّراط المستقيم والدِّين القويم الذي رضيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأكثر ما يكون هٰذا في المتشرِّعة فإنَّ الفساد إليهم يسري أكثر من سريانه إلىٰ عموم النَّاس؛ لأنَّ أهل الصَّنعة يتنافسون فيها وإذا حكموا مطالبهم النَّفسية أو أغراضهم الدُّنيوية أو مآربهم ومراداتهم الحزبية أو الإقليمية أو الوطنية أو غيرها فإنَّهم يُخرجون قلوبهم من الإخلاص وعبادة الله إلىٰ عبادة شخص أو قول أو مذهب أو رأي أو دولة فيكونون متعبِّدين علىٰ الحقيقة بنوع من التَّشريك والالتفات إلىٰ مقصودهم المعظَّم في أنفسهم}.

والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السَّلف الصَّالح -رحمهم الله- إذ بعدهم كثُر الاختلاف وانتشرت الأمَّة كما ذكر المصنِّف، وليس المراد من كلام شيخ الإسلام نفي إمكان وقوع الإجماع بعدهم؛ ولكنَّ المقصود هو استبعاده؛ لأنَّ الذي يمكن ضبطه هو ما كان عليه السَّلف، فالقلوب حينئذ كانت نقيَّة والعلوم في نفوس الخلق قويّة {فصار لهم من المنزلة فيه ما ليس لمن بعدهم}.

((ومن المسالك العصرية في نصرة الأقوال الرَّديَّة دعوىٰ قصر الإجماع علىٰ الضَّروريَّات ومنع وقوعها في غيره، وحقيقة هٰذه المقالة إبطال الإجماع، والإجماع ثابتٌ وإنَّما أنكره المعتزلة وأضرابهم، نعم الإجماع الذي يمكن ضبطه بيُسر المنقول في العهد الأول، وما بعده فيمكن وجود الإجماع فيه لكن نقله فيه عسر ومشقَّة، وليس مقصود من تكلَّم بمثل كلام أبي العباس من القدامىٰ كأحمد وغيره إبطال وجود الإجماع بعد الرَّعيل الأوَّل من الصَّحابة والتَّابعين وأتباع التَّابعين بل الإنْبَاهُ إلىٰ مشقة ذلك)).

۞۞۞۞

ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَىٰ مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ، وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا، وَيُحَافِظُونَ عَلَىٰ الْجَمَاعَاتِ.

وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ للأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ؛ يَشُدُّ بَعْضَهُ بَعْضًا»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَقَوْلِهِ ﷺ : «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الواحد؛ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّىٰ وَالسَّهَرِ».

وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ الْبَلاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ.

وَيَدْعُونَ إِلَىٰ مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»، وَيَنْدُبُونَ إِلَىٰ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَىٰ الْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْخُيَلاءِ، وَالْبَغْيِ، وَالاسْتِطَالَةِ عَلَىٰ الْخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا.

من طريقة أهل السُّنّة وأخلاقِهم الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر علىٰ ما توجبه الشَّريعة؛ أي بحسَب الأمر الدِّيني لا بحسب الهوىٰ والرَّأي، [[ويرون إقامة الشَّعائر الظَّاهرة كالحجِّ والجهاد والجُمَع والأعياد مع أمرائهم الأبرار منهم والفُجَّار]]، ((فيشاركونهم في الخير ويفارقونهم في الشَّر)) ويحفظون الأخوَّة الإيمانيَّة والحميَّة الإسلاميَّة للمؤمنين جميعًا، ويدينون بالنَّصيحة لهم، ويأمرون بالصَّبر علىٰ البلاء، والشُّكر عند الرَّخاء، والرِّضا بمرِّ القضاء، ويدعون إلىٰ مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال كصلة من قطعك، وإعطاء المحروم، والعفو عن الظَّالم، ويأمرون ببرِّ الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والإحسان إلىٰ اليتامىٰ والمساكين وابن السَّبيل، والرِّفق بالمملوك، وينهون عن الفخر والخُيلاء والبغي، والاستطالة علىٰ الخلق بحق أو بغير حق، وغيرها من أخلاق الظُّلم والبطش، والاستطالة علىٰ الخلق هي الترفُّع عليهم واحتقارهم والوقيعة فيهم، فإنْ كان المستطيل استطال بحقٍّ وأمر صدقٍ فقد افتخر، وإن استطال بغير حق فقد بغىٰ، وكلاهما خُلُق ((مذموم)) محرَّم، ولهٰذا ذكر أبو العباس ابن تيمية من مساوئ الأخلاق الاستطالة علىٰ الخلق بحق أو بغير حق؛ لأنَّها إمَّا فخر وإمَّا بغي، ويأمر أهل السُّنّة (بِمَعَالِي الأَخْلاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا)؛ أي رديئها، فكل خُلق رديء فإنَّ أهل السُّنَّة برءاء منه ناهين عنه .

۞۞۞۞

وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلاَمِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ.

لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ؛ إِلاَّ وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ. وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «هُمْ مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَومَ وَأَصْحَابِي»، صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلامِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

وَفِيهِمُ الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمْ أَعْلامُ الْهُدَىٰ، وَمَصَابِيحُ الدُّجَىٰ، أُولُو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ، وَمِنْهُمُ الأَئِمَّةُ الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ، وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ الَّتِي قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ، لاَ يَضُرُّهُم مَنْ خَالَفَهُمْ ، وَلاَ مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ».

فَنَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ وَأَنْ لاَ يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَ يَهَبَ لَنَا مِن لَّدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ.

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَىٰ خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم..

إنَّ أهل السُّنَّة والجماعة في أقوالهم وأفعالهم ممَّا ذكره أبو العبَّاس ابن تيمية الحفيد وممَّا لم يذكره هم متَّبعون للقرآن والسُّنّة، وطريقتهم هي دين الإسلام الذي بعث اللهُ به محمَّدًا ﷺ؛ لكنَّه أخبر -صلوات الله وسلامه عليه- أنَّ أمَّته ستفترق علىٰ ثلاثٍ وسبعين فرقة كلُّها في النّار إلَّا واحدة، وهي الجماعة، وهٰذه الجماعة هي المتمسِّكة بالإسلام المحض الخَالص عن كل شَوْب الذي جاء به النَّبي ﷺ، ((وهم باقون علىٰ الدِّين الذي مات عليه أبو القاسم ﷺ)) وإلىٰ هٰذا المعنىٰ أشار السَّفاريني رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ بقوله في «الدُّرَّة»:

اعْلَمْ هُدِيتَ أَنَّهُ جَاءَ الْخَبَرْ ... عَنِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الْبَشَرْ

بِأَنَّ ذِي الأُمَّةَ سَوْفَ تَفْتَرِقْ ... بِضْعًا وَسَبْعِينَ اعْتِقَادًا وَالْمُحِقْ

مَا كَانَ فِي نَهْجِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ... وَصَحْبِهِ مِنْ غَيْرِ زَيْغٍ أَوْ جَفَا

وَلَيْسَ هذا الوَصْفُ جَزْمًا يُعْتَبَرْ ... فِي فِرْقَةٍ إِلاَّ عَلَى أَهْلِ الأَثَرْ

يعني أهل السُّنّة والجماعة والحديث والأثر ((جعلنا الله وإيَّاكم جميعا منهم)) ، ففي أهل السُّنّة والجماعة -بحمد لله- {قديمًا وحديثًا} (الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمْ أَعْلامُ الْهُدَىٰ، وَمَصَابِيحُ الدُّجَىٰ، أُولُو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ)، والمراد بالأبدال القائمون بنُصرة الدِّين بحيث يخلفُ بعضهم بعضًا في القيام بهٰذه الوظيفة، فإذا مات أحد منهم أقام اللهُ ﷻ {آخرَ} غيره، وهٰذا هو المعنىٰ المحقَّقُ للأبدال ((هو الصَّحيح)) دون سواه [[من المعاني المدعاة]]، (وَمِنْهُمُ الأَئِمَّةُ الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ، وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ الَّذِينَ

قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ، لاَ يَضُرُّهُم مَنْ خَالَفَهُمْ ، وَلاَ مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ».) ((كما في حديث معاوية في «الصَّحيحين» بنحوه)) ففيهم كلُّ فضيلة، وهم برءاء - بحمد الله- من كلِّ رذيلة، وقد جعل الله ﷻ لهم أسماءً فسمَّاهم عباد الله والمؤمنين والمسلمين، ووقعت لهم أسماءٌ أخرىٰ بحسب مقتضيها فسُمُّوا بأهل السُّنّة والجماعة {في مقابلة أهل البدعة والفرقة} وبأهل الكتاب والسُّنة {في مقابلة من اتَّبع الرأي أو العقل أو الذوق أو الوجد} وبأهل الحديث والأثر، [[والسَّلفيين]]، وغير ذلك ممَّا دعا له داعي المخالفة لأهل البدع والرَّأي والهوىٰ والوَجْد والذَّوق، {فإنهم لما وقعت بينهم وبين غيرهم المخالفة في أصل عظيم في أصول الدِّين آثرهم الله ﷻ بالحق فنسبوا إلىٰ الأسماء المعظمة كالسُّنَّة والجماعة والحديث ونسب غيرهم إلىٰ الألقاب المظلمة كالبدعة والهوىٰ والفرقة}

((والمقدَّم من أسمائهم هي الأسماء التي سُمُّوا بها في الكتاب والسُّنَّة، فما سُمُّوا به في الكتاب والسُّنَّة هو أشرف الأسماء وأعظمها وأعلاها وأوفاها ببيان مقامهم، ثم بعد هٰذه الأسماء: الأسماء التي سُمُّوا بها في مقابل ما دبَّ في المسلمين فاختصَّ الباقون علىٰ الإسلام الحق بمعان أوجبت لهم أسماءً فإنَّه لما وقع في النَّاس الأخذ بالبدع وفشا كان الباقون علىٰ الدِّين الذي مات منه أبو القاسم ﷺ هم المتمسِّكون بسنته، ونُسِبُوا إليها فقيل لهم أهل السُّنَّة وأهل الحديث وأهل الأثر، فأشرف الأسماء أسماؤهم كما أنَّ أكمل الأحوال أحوالهم.

وهٰذه العقيدة العظيمة التي ذكرها أبو العباس ابن تيمية ليست عقيدة له ولا عقيدة للحنابلة؛ بل هي العقيدة التي كان عليها أئمَّة الهدىٰ وأعلام الإسلام في القرون الأولىٰ من الصَّحابة فمن بعدهم من التَّابعين فمن بعدهم من أتباع التَّابعين، ويوجد بحمد الله في كلام الحنفية والمالكية والشَّافعية والحنابلة ما يوافق هٰذه العقيدة، ومن ينسبها إلىٰ التَّيميين أو الحنابلة فهو من قلَّة نظره، والمدَّعون اليوم اتباع المذاهب الأربعة يوجد في أحوالهم ما يخالفون فيه منصوص فقهائهم في مسائل الاعتقاد في أبواب الفقه فضلا عن أبواب الخبر، وقد دبَّ بين النَّاس اليوم الزَّعم بأنَّ هٰذه العقائد هي عقائد أنشأها بعض المتأخِّرين من التيميين والمتوهِّبة، ونحن برءاء من كل عقيدة ليس عليها برهان من كتابٍ ولا سنَّة، وما تعبَّدنا الله ﷻ بأحد ننتسب باتباعه من الخلق إلَّا محمَّدًا ﷺ.

فالبرهان الفاصل والحقُّ الظَّاهر المميِّز بين الطَّوائف المدَّعية هو صدق الانتساب إلىٰ ما كان عليه النَّبي ﷺ، فإذا كانت سنَّته ﷺ مثلا مملوءة بالأحاديث النَّبوية المثبتة للعلوِّ فضلا عمَّا في القرآن من تلك الآيات حتىٰ صار مجموع أدلَّة العلو يزيد عن ألف دليل كما ذكره أبو عبد الله ابن القيم فإنَّ المتَّبع للكتاب والسُّنَّة المتعبِّد لله لا يسعه إلَّا أن يُقِرَّ بذلك، ولمَّا كان في النَّاس مع اختلاف طوائفهم حذَّاق

أذكياء يَعُون الكتاب والسُّنّة، فإنَّ من الأشاعرة في عصرنا من أذكيائهم من صنَّف في تزييف طريقة الأشاعرة في العلو، وقال: إنَّ ما عليه مُثبتة العلو أصحُّ دليلًا وأقوم قيلًا ممَّا درج عليه الأشاعرة والجهمية، مع أنَّ هٰذا المتكلِّم الذي صنَّف هٰذا الكتاب في مجلد هو أشعري في باقي المسائل؛ لكنه لمَّا رأىٰ جمهرة الأدلَّة وعسكر جيشها لم يسعها صدقًا إلَّا أن يذعن بإثبات العلوِّ لله ﷻ، فإذا أراد المرء أن يتجرَّد للحقِّ فإنَّه لا يعتقد عقيدة إلَّا ولها برهان دالٌ علىٰ صدقها.

وكلُّ ما خالف ذلك سواء في كلام ابن عبد الوهَّاب أو كلام ابن تيمية أو كلام أحمد بن حنبل فإنَّه لا يؤبه له؛ لأننا عباد الله ونحن مقتدون بنبيِّه ﷺ.

نسأل الله ﷻ جميعًا أن يحيينا علىٰ الإسلام والسُّنَّة وأن يتوفَّانا علىٰ الإسلام والسُّنَّة)).

وبهذا ينتهي شرح الكتاب علىٰ نحو مختصرٍ، يوقف علىٰ مقاصده الكلِّية ويبيِّن معانيه الإجمالية.

اللّٰهمَّ إنا نسألك علمًا في المهمَّات ومُهِمًّا في المعلومات، وبالله التَّوفيق.

وفَّق الله الجميع لما يحبُّ ويرضىٰ، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ عبده ورسوله محمَّد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

۞۞۞۞